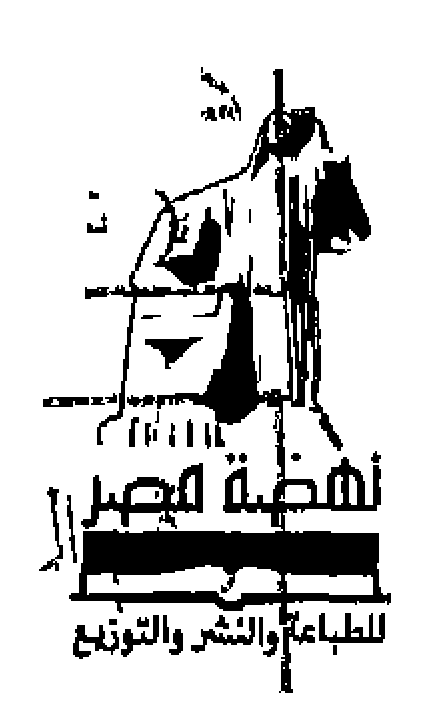
أنيس منصور

حتى تعرف نفسك

أنيس منصور



مقـــــالات



اسم الكتاب: حتى تعرف نفسك.
المؤلف: أنيس منصور.
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم.
تاريخ النشر: الطبعة التاسعة - يوليو 2009م.
رقم الإيداع: 2004 / 5051
الترقيم الدولي: ISBN 977-14-2670-2

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
ت: 33466434(02)-33472864(02) فاكس: 33462576(02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكترونى للإدارة العامة للنشر: publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - السادس من أكتوبر
ت: 38330287 (02) - 38330289 (02) - فاكس: 38330296 (02)
البريد الإلكترونى للمطابع: press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسى: 18 ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة - ص. ب: 96 الفجالة - القاهرة.
ت: 25909827 (02) - 25908895 (02) - فاكس: 25903395 (02)

البريد الإلكترونى لخدمة العملاء:
customerservice@nahdetmisr.com
البريد الإلكترونى لإدارة البيع: sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدى)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 13 شارع المستشفى الدولى التخصصى - متفرع من شارع عبد السلام عارف - مدينة السلام
ت: 2221866 (050)

الموقع الإلكترونى: www.nahdetmisr.com

خدمة العملاء: 16766



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

كلمة أولى ..

كل إنسان قرفان من حياته .

إما لأن حياته مرهقة له وهو يريد أن يستريح ، وإما لأن هذه الحياة تافهة لا معنى لها ولا قيمة ، فإذا جلس فى البيت أو على المقهى قد يجد المعنى أو يستريح من البحث عن المعنى لحياته ، أو يكون الموت المعنى الأخير لها .

وكثيرا ما نسمع أناسا يقولون : يا ريت تنتهى خدمتى وأحال إلى المعاش لعلى أستريح ، أجلس فى الشمس جنب الحيط ، يادار ما دخلك شر . كافى خيرى شرى . . وودن من طين وودن من عجين ، والحمد لله على كده !

فالذى يحال إلى المعاش سوف يعانى مشكلة خطيرة ، وهى أنه قد اعتاد على حياة مليئة بالناس الذين يضايقونه أو يضايقهم إنه رتب كل مشاعره عليهم ، على حبهم أو على الفرار منهم ، وفى استطاعتك أن تراقب حركاتك منذ اللحظة الأولى التى تخرج فيها من بيتك إلى عملك .

فإن كانت ليلتك مريحة فأنت تخرج من البيت مستريحا ، هادئ الخطوات واسع الصدر ، ولا تكاد تتجه إلى الشارع الذى ستنتظر فيه الأتوبيس حتى يبدأ فيلم «القرف اليومى» ، سأفترض

أنك وجدت مكانا فى الأتوبيس ، وأنك وجدت الكمسارى وكان معه فكة ، وركبت ونزلت بسلامة الله وعبرت الشارع وإن كان هذا صعبا بعض الشىء خصوصا إذا كنت تعمل فى وسط القاهرة ، وبدأت تدخل باب المؤسسة أو الشركة أو الهيئة أو الوزارة ، هنا فقط يجب أن تراقب حركاتك ، ولو كانت معك مرآة لوجدت التكشيرة قد علت وجهك ، وبشكل غريب جدا قد التوت شفتاك وظهر بسرعة شىء على لسانك ، أما هذا النقر فى الجانب الأيسر من البطن فليس عفريتا ، وإنما هو المصران الغليظ ، وهذا الضيق المفاجئ فى التنفس ليس سببه انسحاب الأوكسجين من الهواء بسرعة ، وإنما سببه أن لديك شعورا غريبا بأن كل زملائك فى العمل يزاحمونك فى التنفس ، وأنهم لا يأخذون من الهواء نفس نصيبك ، إنهم يأخذون أكثر منك قليلا .. فهم يسحبون الهواء من صدرك !

وإذا كنت قد وصلت الآن إلى مكتبك .. وجلست بسرعة وامتدت يدك إلى الدرج ، وأنا أستبعد فلأنك تريد أن تضع همك فى الورق ، أو فى سندوتش قد حملته معك وتريد أن تأكله أو تمزقه بأسنانك ، لعل هذا السندوتش يرمز إلى شىء أو إلى أحد ، يعمل معك أو يعمل ضدك ، أو أنت تعمل له وهو لا يدرى بك ، ولا يشكرك أو لا يمتن لك : زوجتك .. أولادك .. إخوتك .. أو أنت شخصيا لا تحمد الله ولا تشكره على ما أعطاك !

فى هذه اللحظة يدخل مواطن ، ولو كانت هناك كاميرا سحرية لكان وجهك هكذا : اللقمة الآن على شفتيك بين أسنانك ، ولقمة أخرى وقفت فى حلقك وسوائل معدتك تتخبط كأمواج

البحر على صخرة كريهة اللون والرائحة ، ولكن سرعان ما تعاود الأكل بقليل من الاستطعام لأن هذا المواطن لا يريدك وإنما يريد زميلا لك لم يحضر ، ولأنه لم يحضر فقد ارتفع صدرك وسقط بسرعة ، فهذا الموظف الذى لم يحضر محظوظ إنه ليس متزوجا . . وليس عنده أولاد . . مع أنك تعلم أنه ينفق على إخوته وعلى أمه ، ولكنك تقول لنفسك : ياريت كانت لى أم وأخوة . . ولم يكن لى أولاد ولا زوجة .

ومعنى هذا أنك انتهزت هذه الفرصة لتحقد عليه ، وتؤكد سخطك على نفسك !

وغير ذلك من الأشخاص والمشاعر التى تتكرر كل يوم مئات المرات فى المكتب وفى الشارع وفى الطريق إلى ومن المكتب ، عشرات السنين وكل ذلك سوف يتوقف مرة واحدة إذا أنت أحلت إلى المعاش !

السادات رابين . غاندى

تشابه غريب بين اغتيال السادات ورابين وقبلهما غاندى ..
فرابين انتصر فى حرب ٦٧ .

وكانت مبادرة السادات بالسلام ولقاء بيجين فى كامب ديفيد والتوقيع الشهير فى البيت الأبيض .

وأكمل رابين السلام بعد مفاوضات مع عرفات فى أوسلو .. ثم المصافحة التاريخية فى البيت الأبيض .. هذه المصافحة غيرت التاريخ .

وقد علقت السيدة ليا أرملة رابين على ذلك بقولها : إننى أصافح عرفات ولا أصافح نتانياهو ليتحقق السلام ..

وحصل السادات على جائزة نوبل مع بيجين ..

وحصل على جائزة نوبل رابين وبيريز وياسر عرفات ..

وفى المنصة جلس السادت سعيدا بعيد النصر .. وكان رابين عند المنصة يغنى أغنيات السلام سعيدا بالنصر ..

ومن بين الجنود خرج واحد متطرف وأطلق الرصاص على السادات ..

ومن بين المتدينين خرج شاب وأطلق الرصاص على رابين ..

والسادات نقل ميتا إلى المستشفى وكذلك رابين ..

وكانت صدمة للدنيا كلها - مثل صدمة اغتيال الرجل المسالم غاندى سنة ١٩٤٨ - وكذلك كانت وفاة رابين ..

وكما كانت الزغاريد تدوى فى ليبيا وسوريا وفلسطين ولبنان لاغتيال الرئيس السادات .. انتعشت نفس الزغاريد مع الطبل والزمر فى إسرائيل وفى الضفة والقطاع وليبيا - ولكن سوريا هذه المرة لا طبلت ولا زمرت .. وإنما كانت مشغولة بأفراح العيد الفضى لثورة الرئيس الأسد .. ولا أحد يعرف ما الذى كان من الممكن أن يحدث لو أن القاتل عربى ؟ !

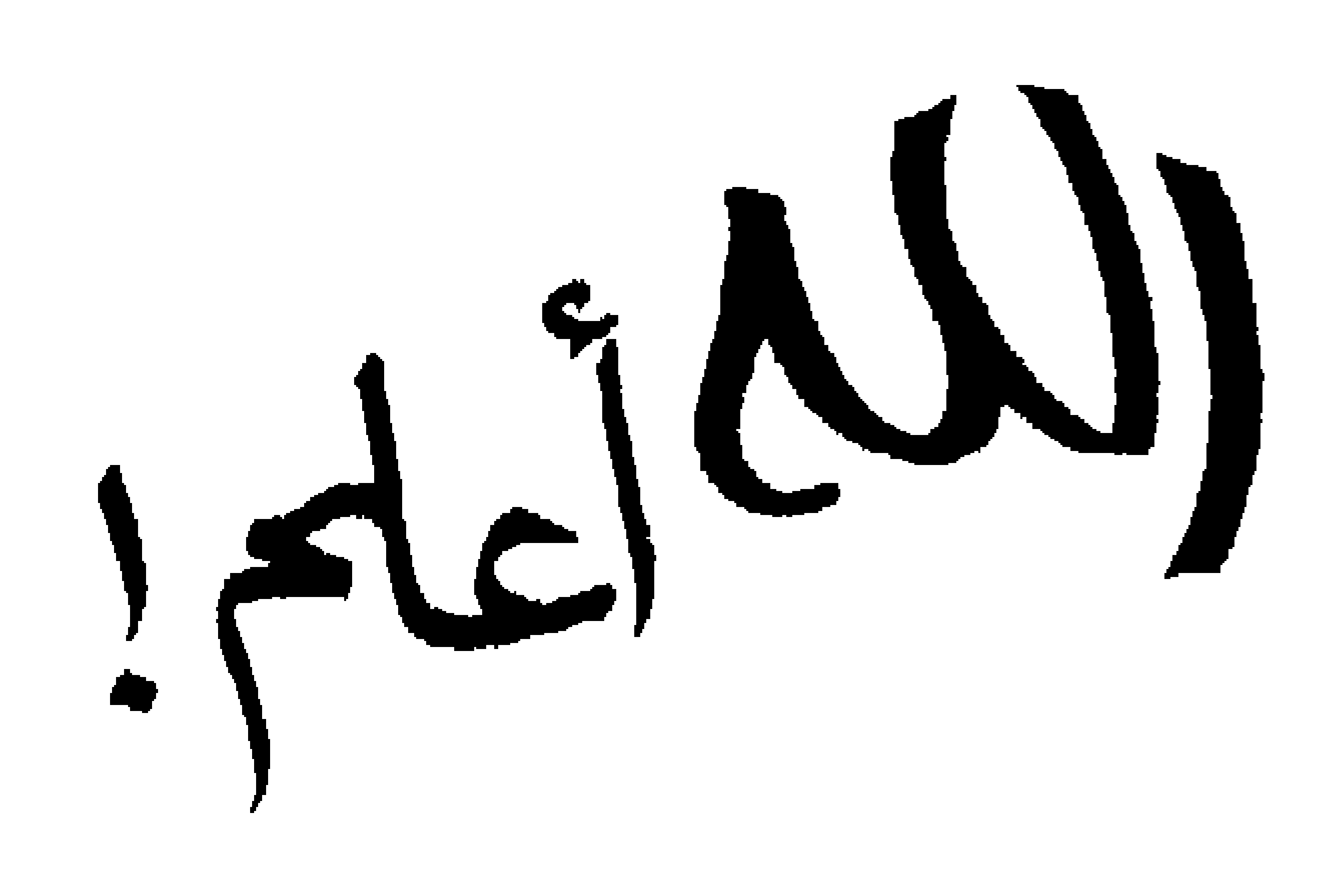
كل شىء كان من الممكن أن يحدث . وكان من المستحيل أن ينادى أحد بضرورة التزام الحكمة . كما يفعل الإسرائيليون مع أنفسهم ، ورغم فداحة الكارثة فإنهم يقولون : إنها خسارة فادحة ولكن خسارة أفدح أن نتراجع عن السلام .. ثم إن شابا مجرما يجب ألا يوجه السياسة الإسرائيلية فى المنطقة وفى الدنيا .. خسارة بشعة ، ولكن فقدان العقل جريمة أبشع .. وإذا كانت جريمة الشاب اليمينى ضد رابين ، فإن جريمة الاندفاع والتهور الرسمى والشعبى ضد الشعوب اليهودية فى إسرائيل وفى كل مكان - إنه منتهى العقل !

وفى هذا الجو الحزين الأسود ظهرت امرأة .. وبرزت وكانت فى غاية الشجاعة والعقل . كيف ؟ هذا ما حدث . إنها سيدة قوية أقوى من الألم . وأكبر من المصيبة . إنها أرملة إسحاق رابين .. فمن اللحظة الأولى أعلنت : إن الشاب الذى قتل زوجى ليس هو الفاعل الوحيد .. ولكن المعارضة التى ملأت الجو بالحقد

والكراهية والدم ، هى التى دفعت شابا أن يفعل ما فعل . . إن القاتل الحقيقى هو زعيم المعارضة الذى اتهم زوجى بالخيانة لأنه يريد السلام . . سلام الشعب اليهودى والشعوب العربية . . إن زعيم المعارضة هو الذى وافق على أن يجعلوا لزوجى صورة هتلر ويطلقوا عليه الرصاص . . لقد تدربوا بما فيه الكفاية على اغتياله مسرحيا ، فلم يبق إلا تنفيذ ذلك . . وقد نفذوا ذلك . .

وقالت أيضا : إن الأحزاب الدينية يجب أن تراجع برامجها . وأن تزداد حماية زعماء إسرائيل : فلم يعد الخوف من الشعب الفلسطينى وإنما من الشعب اليهودى نفسه !

وسوف يحتاج الشعب اليهودى إلى وقت طويل لكى يسترد أنفاسه ويفيق من الصدمة ويصلح صورته التاريخية أمام نفسه وأمام تحقيق الأمن وعلى السيطرة عن كل شذوذ وانحراف . والآن تغيرت الصورة . وعلى الرغم من أن الحكومة فى إسرائيل قد تحركت بسرعة وفصلت عددا من رجال الأمن واستقال بعضهم فإن المأساة النفسية سوف تمتد جذورها إلى سنوات طويلة قادمة !



جاءتنى فتاتان صغيرتان ومعهما جهاز تسجيل لإجراء حديث ، قالت واحدة إن اسمها مش عارف إيه طه .

سألتها : ما معنى طه ؟

اسم طه ليس اسما . . ولا يس . . إنهما حرفان : طاء وهاء . . وياء وسين . . وليس لهما معنى معروف عندنا . وفى القرآن الكريم سور تبدأ بمثل هذه الحروف : الم . . ألر . . ص . . ق . . حم . . طس . . كهيعص . . أى لا أحد يعرف معناها إلا الله . . ولكن الناس اختاروا طه ويس لموسيقى الكلمتين . .

أول مرة أسمع كلاما كهذا . .

إذن لقد أضفت لك معلومة جديدة عن اسمك الذى لا تعرفين له معنى . . وإلا ماذا تريدين منى . .

هل قابلت أحدا من الوفد الأردنى .

غدا نلتقى .

ورأيك فى القضايا الأردنية .

هذه قضاياكم أنتم . . وأنتم الذين حددتم واخترتم درجة الاهتمام بها وأنا أرى أنها معروضة عرضا جيدا أنيقا وعلميا . .

فلم يفتكم أى شئ . . فقد قدمتم مطبوعات وكاسيتات فيديو . . وسى دى روم . . وليس أحسن ولا أروع من ذلك . .

ثم جاءت الأسئلة المهمة . كان سؤالها عن موقف مصر وهل تنسحب . . وهل من الضرورى أن يكون البنك فى القاهرة . . وهل من الضرورى أن ينعقد المؤتمر القادم أيضا فى مصر . وكانت إجابتى أن يكون المركز السياحى للمنطقة كلها فى القاهرة . . هذه كلها لا تهم . وإنما الذى يهم هو أن نعمل معا . . وأن نتشارك ونتفاهم دون ضغط من أحد . . وأن عيوب مؤتمر الدار البيضاء قد تم إصلاحها فى عمان . . وكذلك سلبيات عمان سوف تتم معالجتها فى القاهرة . . وهكذا نخطو خطوة أكبر وأوسع إلى الأمام لصالح الشرق الأوسط . . ولم تنشر الصحف ولا المجلات ولا وكالات الأنباء شيئا من ذلك . . لا بأس . . ومن أهم اللقاءات ما كان بين اتحاد الصناعات المصرية واتحاد الصناعات الإسرائيلية فعلى مائدة واحدة جلس ثلاثة آلاف مليون دولار . . وكلهم ينظرون فى عيون بعضهم ويناقشون وينظرون . . ويردون ويتعاونون . . وكثير من رجال الصناعة المصرية يتاجرون مع إسرائيل من وقت طويل . ثم إن لإسرائيل مصالح فى مصر . . أما خبراء الزراعة فقد سبقوا الجميع إلى التعاون مع مصر فى مجالات الخضروات والمحاصيل الأساسية والفاكهة وزراعة نسيج النباتات . . وكل المطلوب هو التوسع فى هذه اللقاءات والتعاون والتجارة . وكله بيع وشراء ومكسب . . ولا يوجد دولار مسلم وآخر يهودى . . فالفلوس لا دين لها . والتجار لا شأن لهم لا بالدين ولا بالحب . . الكل يريد أن يكسب لنفسه ولبلده . وكلها بديهيات البيع والشراء . . ولقاء رجال الصناعة المصرية والأردنية كان نموذجا

رفيعا للتعاون والتفاهم بين الاشقاء . . فهم جميعا يعرفون بالضبط ماذا يريدون وما الذى يقدرون عليه وبأى شىء يحملون لأنفسهم ولبلادهم وللشرق الأوسط . . ولذلك لا توجد صعوبة فى التفاهم بين رجال الاقتصاد وإنما الصعوبة عادة بين رجال السياسة ، وقد وضعت السياسة القواعد والإطارات وعلى رجال الاقتصاد أن يكملوا البناء وأن يعدلوه . فمرة تكون السياسة سيد الاقتصاد ومرة تكون الخادم المطيع . .

ولا يهم من الخادم ومن السيد فكلاهما يتناوبان السهر على خدمة مصر والعرب والشرق الأوسط . .

والمعنى الواضح والذى يجب أن يزداد وضوحا هو : أن مصر هى مركز الكون العربى والشرق أوسطى . . وأنه لا سلام بغيرها ولا حرب ولا تجارة ولا صناعة ولا استهلاك ولا سياحة . . وأن الدول الأخرى لها مصالح وأن من الضرورى احترام مصالحها وظروفها وقراراتها . . فكلنا دول مستقلة ذات سيادة . . صحيح نحن أخوة . . ولكن أهم من الأخوة مصالح شعوبنا التى يجب أن نضعها فى المقام الأول . وهذا طبيعى .

وما دامت هذه بديهيات فلا خوف على أحد من أحد . . ولا خوف علينا نحن الشرق أوسطيين من أوروبا وأمريكا واليابان . فنحن أيضا قوة ويجب أن نكون .

معنى الملابس!

أنت لا تستطيع أن ترفع عينيك عن طفل صغير ولا أن تمسك يدك عن لمسه . إنه هناك ضعيف .

وجهه برىء وعيناه واسعتان .

ذراعاه الصغيرتان تحاولان أن تصلا إليك . ثم جسمه ينتفض إنه من أوله لآخره يدعوك لأن تفعل شيئا . أو أن تضيف عليه .

على الاقتراب منه . على لمسه . على مداعبته . على تدليله . . فالطفل الصغير . دعوة صريحة مفتوحة لكل إنسان أن يقترب منه وأن يداعبه . أو يساعده على شىء .

وإذا كبر الطفل عشر سنوات وراح يضحك أو يصرخ فإن الناس يترددون أو يتحفظون فى الاقتراب منه . وإذا كبر عشر سنوات أخرى . أصبح الحذر منه شيئًا ضروريًا .

وكل إنسان فى كل سن يقول لمن حوله شيئًا . وكلما نضج الإنسان أصبح الاقتراب منه خطرا . ولكنه لا يتوقف عن الإشارة وعن الكلام الملفوف والكلام الصريح . فهو حريص على أن يلفت الأنظار إلى نفسه . . إلى أنه نضج . . إلى أنه يريد أن يقترب وأن يلمس وأن يمد يديه وأن تمتد إليه الأيدى . وهو يؤكد بأساليب

متعددة أنه قادر على كل ما يدور فى رأس الذين حوله . وكيف ؟ فلننظر إلى ملابس الرجال والنساء . والإنسان قد اخترع الملابس لأربعة أسباب : أولا – ليواجه بها الحرارة والبرودة . ثانيا – ليبين للناس مركزه الاجتماعى . ثالثا – ليخفى بها المناطق المثيرة والمحرمة من جسمه . رابعا – ليكشف هذه المناطق ويبرزها ويلهب الرغبة إليها ويشعل النار فى الخيال بحثا عنها وتقربا إليها وهذا هو أخطر هذه المعانى كلها . مثلا مقدمة الجسم وهى أكثر المناطق اختفاء وأعمقها وهى مركز الممنوعات والمحرمات وعلى الرغم من اختفائها فإن الإنسان حريص على أن يبرزها .

وكثيرًا ما يجد الشاب متعة فى أن يتفرج على مجموعة من الصور قدمتها له فتاة والصور كلها فى أحد المصايف ويجد الفتاة تتحدث عن الذى يسكن إلى جوارها أو تحدثه عن العربات الواقفة على الشاطىء وقد يكون الشاب ساذجًا لدرجة أن يسأل عن أصحاب هذه الكبائن وعن أولادهم – كمظهر من مظاهر الغيرة عليها وينسى المصيدة المنصوبة له .

والأم تنصح ابنتها بأنها إذا جلست فيجب ألا تفتح ساقيها . عيب . وإذا وقفت ألا تفعل ذلك أيضا . ولكن عندما ارتدت الفتاة بنطلونا أصبح فى إمكانها أن تجلس كما يجلس الرجل تمامًا وارتداء المرأة للبنطلون الضيق أعطى المرأة شيئا من الحرية ومن التحدى أيضا فلم يعد محرمًا عليها أن تفتح ساقيها عند الجلوس وفى نفس الوقت تعرض جسمها وكأنها لا تقصد ذلك !

ياليومى وغدى!

الحب الكبير هو للرجل الكبير .

ولأنه كبير فالحب قادر على أن يصنع المعجزات فى الأدب والفن .

وأكبر الناس حساسية واهتزازا وإبداعا بسبب الحب الموسيقيون . .

فقلوبهم كأوتار القيثارة والبيانو . . تهتز وترتجف نغما وسحرا بديعا ، والسبب هو أن أصابع سحرية تلعب . . ولأنها سحرية ولأنها قوية ولأنها عامرة فالإبداع الفنى يكون كذلك . .

ولا يوجد موسيقار لم يعرف الحب ولم يكن الحب موسيقاه ولم يزلزل الحب وجـــوده . . ومن زلازل الحب تكون هذه الجنات الموسيقية وتكون العواطف النفسية .

وفى كتاب صدر أخيرا فى بريطانيا عنوانه «غرام الموسيقيين العظماء» من تأليف بازل هويت يقول : أحسن نموذج للحب هو الموسيقار النمساوى موتسارت (١٧٥٦ - ١٧٩١) فكل موسيقاه رائعة راقية رقيقة ، وقد أهدى لزوجته نصا من أعماله . . ولكن الموسيقى التى أهداها للفتاة التى أحبها كانت أروع وأجمل .

والموسيقار التشيكى بانشيك (١٨٥٤ - ١٩٢٨) كان فى

الستين عندما أحب فتاة متزوجة وعمرها ٢٦ عاما قد أحبها ولكنها لم تهتم به ، فأرسل لها عشرات الخطابات نظرت إليها ولم تقرأها وكتب الموسيقار فى مذكراته : ليس من أعمالى كلها عمل واحد ليست به رنة حزن عميق !

والموسيقار بتهوفن العظيم (١٧٧٩ - ١٨٢٧) كان عاشقا عظيما ، ولكنه عصبى جدا عنيف .. خشن ، ومن الصعب أن تتحمله أية امرأة مهما كانت عاشقة له ومهما كان صبرها طويلا ، وكان الموسيقار يعلم ذلك ولم يعرف كيف يواجه المرأة أو أى أحد .

وجاء فى مذكراته : اللهم هبنى امرأة جميلة ذكية قادرة على احتمالى قوية تحمينى من الرذيلة والضياع .

ووجد المرأة الجميلة الذكية ولكنها كانت زوجة لمليونير يراها من بعيد ويقول : آه .

وعندما مات وجدوا فى مكتبه خطابا حزينا قد وجهه إلى الجميلة اليهودية انطونيا برنتاتو ، يقول : حبيبتى الخالدة أحبينى اليوم .. الأمس .. غدا .. يا يومى وأمسى وغدى .. يا كل حياتى .. أحبينى .. لا تظنى بى سوءا .. فسوف يبقى قلبى لك .. إنه ليس قلبى .. إنه قلبك !

ولكن هذا الخطاب الحزين لم يبعث به إلى المحبوبة الخالدة !

والموسيقار روبرت شومان (١٨١٠ - ١٨٥٦) إنه الرجل الرقيق الشفاف .. عندما أحب كلارا اعترض أبوها على ذلك وبعد أن تزوجها صارت زوجته كلارا أشهر عازف للبيانو فى أوروبا ولم يطق صبرا على هذا النجاح كانوا يعرفونها ولا يعرفونه لدرجة أنه فى إحدى الحفلات سأله واحد من الجمهور إن كانت له علاقة بالموسيقى !

وكان موته حزينا . ولكن زوجته كلارا شومان أحبت الموسيقار برامز ، وأحبها وكتب يقول لها : يا أحب شىء عندى فى الدنيا !

وعرفنا فيما بعد أنه كان على صلة بإحدى غانيات فيينا .. التى أهدته ابنتها الجميلة قبل أن تموت !

والموسيقار فرنتس ليست (١٨١١ - ١٨٨٦) أحب فتاة اسمها كارولين . كان عمره ١٧ سنة وهى ١٦ سنة ، وانهار تماما عندما زوجها أبوها وزير التجارة ابن وزير آخر صديق له .

وبعد ١٧ عاما التقى بها الموسيقار وأهداها عقدا من الفيروز وكتبت له تقول : أتمنى لك السعادة التى لم أجدها بغيرك أرجوك .. اسمح لى أن أشاهد عظمتك وأستمع إلى روعتك من حين إلى حين . والموسيقار العظيم فاجنر (١٨١٣ - ١٨٨٣) القادر على كل عمل عظيم جليل فى الموسيقى ، . وقد أحب «كوزيما ليست» ابنة الموسيقار ليست ، وكانت زوجته الثانية وقد أحب فيها جمالها وذكاءها وفهمها للموسيقى وتقديرها لعبقريته .. ورأى فيها أحسن مستمع وأحسن ناقد وأجمل زوجة .

وفى كريسماس سنة ١٨٧٠ جمع الموسيقار فاجنر ١٥ موسيقيا .. ووقفوا جميعا تحت نافذتها والجليد ينزل عليهم عزفوا أحد ألحان فاجنر ، ثلاث مرات - أروع هدية فى عيد الكريسماس!

وكذلك حال العشاق من الشعراء والرسامين ، وكما أنه لا توجد سفينة لم يهزها الموج ولا شجرة لم تهزها الريح فكذلك كل القلوب الذكية والعقول العبقرية .

قتلوا السلام !

(١)

كلما انفتح باب السلام زادت المعارضة فى كل مكان : فى مصر والأردن وفلسطين وإيران وسوريا . . مع أنها جميعا حريصة على السلام وعلى الرفاهية وعلى مستقبل الأطفال .

وليست أعمال الإرهاب فى الشرق الأوسط إلا معارضة مستمرة للحكومات لتأييدها للسلام السياسى والاقتصادى ورفضنا ما له علاقة برفاهية الشعوب .

وفى نفس الوقت ازدادت المعارضة فى داخل اسرائيل فقد تصالح عرفات ورابين وبيريز فى واشنطون . فقد رأى الكثير من اليهود أن هذه هى بداية انهيار الدولة وأرض الميعاد . . وأنها بداية النهاية . .

أذكر أن سفير إسرائيل فى مصر موشى ساسون قد قابل الرئيس السادات ورجاه أن يكون الاحتفال بالانسحاب الإسرائيلى هادئا ، وألا يسخر أحد من دموع الجنود اليهود وهم يرون علم بلادهم ينزل بينما يرتفع العلم المصرى . . ووعده السادات بذلك . . فهو لا يريد أن يكون الفرح المصرى يوم الحداد هناك – إن الشعوب تصفى حسابات الحقد والكراهية وترسم للوفاق والتسامح والتعايش والسلام .

واشتدت فى إسرائيل المعارضة لحكومة العمل الإسرائيلى . وكان منطلقها الأحزاب الدينية وحزب الليكود المعارض .. ولكن رابين وبيريز يؤكدان فى كل وقت أنه لا عدول عن السلام وأن كل شيء حسب الجدول المتفق عليه فى أوسلو وفى واشنطون وفى طابا مهما حدث هنا وهناك .. وكانت الحرائق والانفجارات على جانبى خط السلام بين إسرائيل وفلسطين .

وفى كل مرة تقع جريمة يسارع زعماء إسرائيل وفلسطين يؤكدون أن الحوادث الفردية هى غضب فردى ولكنها لم تؤثر على مسيرة السلام . فكما أن للحروب ضحايا فللسلام أيضا ولكن ضحايا الحروب أكثر .

وكل ذلك يؤكد أن الزعماء جادون فى تحقيق السلام . ولما تعثرت المفاوضات وتعقدت اتجهوا إلى القاهرة . ووقف الرئيس مبارك يصلح ما بين الأطراف . ويتجدد لمصر دورها الريادى والقيادى فى كل مشاكل السلام . فنحن أيضا بدأنا السلام وحريصون على أن نمضى فيه .

حتى تمتلئ الأرض زيتونا والسلام حماما أبيض .. من أجل أجيال لا دخل لها فى صراعات الآباء وخلافات الأجداد .

وفجأة وقع ما لم يخطر على بال أحد فى إسرائيل وفى أى مكان آخر . لقد تسلل طالب يمينى يدرس الحقوق إلى مسافة نصف متر من رئيس وزراء إسرائيل وعندما استوقفه البوليس قال لهم : إنه سائق شخصية مهمة ويريد أن يحضر السيارة . وبمنتهى الهدوء أخرج مسدسه المحشو برصاص دمدم المحرم دوليا ، وأطلق رصاصتين على صدر إسحاق رابين والثالثة فى ظهره . وأسلم

نفسه قائلا : إن الله هو الذى أمرنى بأن اغتال رجلا يريد تصفية أرض الميعاد لصالح العرب !

والشاب اليمينى طالب مجتهد جدا . وهو فى نفس الوقت حاقد وكاره إلى كل من هو يهودى أبيض . حتى البنت التى أحبها كانت يهودية بيضاء . هذه البنت تركته لشاب يهودى أبيض . والمفاجأة ليس اغتيال رئيس وزراء أو حتى رئيس دولة .. ولكن المفاجأة الكبيرة : أن يهوديا قتل يهوديا !

والديانة اليهودية تطلب من اليهودى لا تقتل .. لا تقتل يهوديا طبعا . ولكن هذا الشاب المتدين المتطرف قتل رئيس وزراء الدولة اليهودية .

ثم إن حراسة رئيس الوزراء لم تكن دقيقة . فقد استطاع شاب أن يلمس جسم رئيس الوزراء الذى كان يغنى للسلام ويرقص مع بقية الشعب اليهودى ..

وانهارت الصورة التى تعب اليهود في رسمها وتحفيظها للدنيا كلها : إن الشعب اليهودى أهمل إهمالاً شديدًا فى حراسة رئيس الوزراء . وإنه ليس صحيحا أن أجهزة الأمن دقيقة ومنضبطة كما توهم الشعب اليهودى والعالم كله .. فهناك إهمال ولا مبالاة وتسيب وتآمر أيضا على اغتيال رابين – وأجهزة الأمن والمخابرات لا تدرى .. أو أنها تدرى وتسكت . أو أنها تسكت . ويكون سكوتها مؤامرة على رئيس الوزراء وعلى إسرائيل وصورتها فى الدنيا ..

إن اغتيال رابين قد هدم كثيرًا من الصور والنظريات الأمنية وتماسك الشعوب اليهودية أمام موضوع واحد : العداء للعرب !

(٢)

الشعوب اليهودية أكثر حيوية لأنها أكثر قلقا وأكثر شعورا بعدم الأمان .

ولذلك تريد أن تترابط وتتماسك وتستقر . . وأن تبحث دائما عن وسائل ومناسبات لكى تكون طبيعية فى هذه المنطقة .

ومن المألوف أنهم يتساءلون دائما وماذا بعد عشرة أو عشرين أو خمسين عاما ؟

كيف يتصورون هذه المنطقة ؟

هم الذين يسألون . ومن النادر أن يجدوا ردا على مثل هذه الأسئلة . فنحن نفكر يوما بيوم أما النظرة إلى الأمام فذلك أمر صعب . . وهو صعب لأننا شعوب يغلب علينا التواكل ، ولسنا شعوبا علمية . . نتجاوز الحاضر وننظر إلى المستقبل ونرى أنفسنا هناك . . لنعرف ماذا يحدث أو سوف يحدث لنا .

وظهرت كتب فى إسرائيل وفى المعاهد الأمريكية ترسم الخرائط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى هذه المنطقة . ونقرأ نحن ونتعجب . ولا نذهب إلى أبعد من ذلك . . وننتظر الخطوة التالية . وتجىء عادة من إسرائيل . أما نحن فنرد على ما يقولون . ولا نبادر بشىء ، ولذلك كانت مبادرة السادات مفاجأة . لأنها سلوك غير عربى . سلوك غير تقليدى . سلوك فريد . ويبدو أننا اكتفينا بذلك ولا نريد أن نكرر هذه المبادرة فى أى عمل

آخر . . وكأنها غلطة أو خطيئة يجب ألا تكرر! وظهر كتاب لوزير خارجية إسرائيل شمعون بيريس عن (الشرق أوسطية) أى عن هذه المنطقة الممتدة من المغرب إلى اليمن ومن لبنان إلى الصومال . . واختصارها مينا . أى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا . . وهذا الكتاب هو رؤية ورؤيا لما يجب أن يكون عليه الشرق الأوسط . . اقتصاديا وصناعيا واجتماعيا وسالميا أيضا . وظهرت هذه الرؤية فى مؤتمر الدار البيضاء . وقد غضب الوفد المصرى مما رأى فى الدار البيضاء . فقد سيطر الوفد الإسرائيلى بمشاريعه وأفكاره ومعروضاته . وأحس المصريون - خطأ - أن إسرائيل تعمل على تهميش دور مصر - أى جعله هامشيا . وهذا ما لا تستطيعه إسرائيل . فدور مصر فى السلام وفى الحرب هو الدور الرئيسى . فبغير مصر لا كانت حرب ولا كان سلام . ولكن مصر لا تأخذ المبادرة عادة وتنتظر عادة . . وإذا كنا نتهم العرب بأنهم شعوب الفرص الضائعة - فلا تزال هذه الصفة حية وقادرة على أن تسود الفكر العربى والمصرى بصفة خاصة .

وعاد المصريون غاضبين من الدار البيضاء - واندهش الوفد الإسرائيلى . فليس فى حساب أحد أن يتجاهل مصر ، ولا يقدر إذا أراد . ولذلك كان موقف مصر من (قمة عمان) موقفا عدوانيا . أو على الأقل فيه الكثير من التحفز لإسرائيل والأردن معا . ولم تظهر وجهة نظر مصر واضحة فى تفسيرها لمعنى مؤتمر عمان . بل إن تصريحات عمرو موسى وزير الخارجية كانت تدعو بشكل ما إلى مقاطعة إسرائيل والأردن لمصر . . ولكن مصر تقدمت بمشروع . . وتدارس اتحاد الصناعات المصرية عدة مشاريع وكانت مقابلات ولقاءات . . ولكن الصورة ليست واضحة . ما الذى

يمكن عمله . . هل نذهب؟ هل لا نذهب ؟ أناس قالوا : نقاطع المؤتمر !!

وآخرون قالوا : انتهى زمن المقاطعة . . يجب ألا نقاطع أى شيء يجب أن نذهب وأن نسمع وأن ننافس ولا أحد يضرب أحدا على يده . . سنقول ونقرر ونختار بكامل إرادتنا . أما المقاطعة فهذا لعب عيال . وقد كبرت العيال وصاروا رجالا . . وصاروا قدر الأمة العربية ومصيرها ومستقبلها !

وشاركت أنا فى عدد من الاجتماعات وتناقشت فى آراء كثيرة . واعتدلت كل زوايا الرؤية بعد أن تقرر الذهاب . فلسنا دولة هزيلة ولا ضعيفة . . ولا نحن صغار جدا ولا هم كبار جدا . . ولكننا نتفوق فى أمور ويتفوقون فى أمور . ولابد أن نلتقى ونرى ونقرر .

وعمليات السلام مستمرة . . والأرض تعود إلى أصحابها الفلسطينيين . . ومشاريع الإعمار فى فلسطين تتزايد والفلوس تنهال من كل الدنيا على الذين يحبون السلام ويقدرونه ويحترمونه . .

زحام جديد!

ومن ضمن القوى الاجتماعية : اللغة .. ونحن نتحدث عن اللغة باعتبارها وسيلة مواصلات بين الناس ، هى بالفعل كذلك ولكنها فى نفس الوقت تعزل بعض الناس عن الناس ، فأبناء كل مهنة لهم مصطلحات لغة . .

وبعض المحاكم فى أوروبا كانت تصدر أحكامها بالفرنسية وبعض المطاعم لا تزال تضع قوائم الطعام بالفرنسية أو الإنجليزية .

والدين أيضا : قوة تجمع بين الناس ، وتفرق بينهم .. والدين له قواعده وقوانينه التى يجب أن يطيعها الناس بلا تفكير .. وفى داخل الدين الواحد توجد مذاهب .. هذه المذاهب فرقت بين أهل الدين الواحد وجمعتهم حول اهتمامات خاصة .

وإلى جانب القانون والعادات واللغة والدين هناك الحروب .. والحرب تربط بين الناس وتجمعهم ، وتذيب الفوارق بينهم .. وتجعلهم يستهينون بالخوف والمرض والجوع .. فلا شىء يقوى الناس مثل الخطر الخارجى .

ففى مواجهة «هم» تقوى هذه القوة التى تمسك المجتمع وهذه هى الدبابيس والمسامير والصمغ الذى يمسكهم ويشدهم ويوجههم

أيضـا ، هذه القـوة أوجـدت زعـمـاء مـثـل : الإدارى والقـاضى والسياسى والزعيم ورجل الدين والقائد . وهذه القيادات تجمع عادة فى يدى حاكم واحد وحتى لا يحس الإنسان أنه مسلوب الإرادة ، فإنه يبدى رأيه أحيانا فى اختيار زعمائه وقادته . وهذا الاختيار يجعله يشعر بأنه ينتمى إلى هذه الأسرة ، وأنه وحده قادر على تدميرها وتغييرها .

ولأنه لا يمكن السيطرة على المجتمع ، كان لابد من تقسيمه إلى هيئات ونقابات وجماعات وجمعيات واتحادات ، وهذه إعادة للنظام القبلى القديم ، والإنسان حريص على هذه التنظيمات لأنه يواجه شيئا رهيبا هو الضياع فى مجتمع الغرباء . . مجتمع الملايين من أبناء القبيلة الواحدة الذين لا يعرفهم وإنما يزاحمهم فى كل يوم . وعلى الرغم من التقارب والترابط والاتحاد بين الناس ، فإنهم متباعدون ممزقون والحرب تجمعهم ولكن السلام يفرقهم من جديد .

ولا يزال الإنسان يحلم ، نعم يحلم بوحدة الأرض كلها ، الأسرة ، الإنسانية ، ولكن يبدو أن هذا الحلم لن يتحقق إلا إذا واجهت الأرض خطرا من أحد الكواكب الأخرى . ومادام هذا الخطر لا وجود له فسيبقى هذا الحلم حلما أو وهما أو هذيانا أبديا !

وكان هناك حلم آخر : أن يتحد الناس أمام الشاشة الصغيرة . . وأن تكون هناك وحدة تليفزيونية ، فالناس يريدون نفس البرامج ونفس الأحداث ، ولكن بحسب هذه الوحدة أنها وحدة من جانب واحد جانب الناس ومن المؤكد أن التليفزيون نافع وممتع . . ولكن هذه الصلة من طرف واحد . وعلى الرغم من هذه المحاولات

الخائفة القديمة للجمع بين القبيلة الواحدة وبين كل القبائل الإنسانية فلا يزال الإنسان «قبليا» يتعصب لأسرته ولشارعه ولمزاجه ولمذهبه ودينه ولغته وأرضه وعرضه ، والإنسان ليس مثل «النمل الأبيض» الذى يتحد فى الخلية الواحدة والإنسان يريد فى نفس الوقت أن ينغمس فى الضياع - أى فى «القبلية العليا» ليعرف ويفهم ويناقش ويبحث عن شىء جديد ، إن هذا الانغماس يثيره ويفتح شهيته للحياة الاجتماعية وبعيدا عن المجتمع وكما أن هناك طيورا بحرية لا تتوالد إلا معا على شاطىء ما فكذلك الإنسان لا تتوالد أفكاره وأحلامه إلا فى هذا الضياع .. أى فى « الوجود معا » .. فالمدن هى مستعمرات للتوالد الجماعى ، وهذا هو السبب الوحيد الذى يبقى على التماسك بين أفراد القبيلة رغم ما فيه من عيوب وآلام .

وعلى الرغم من أن سكان المدن الكبرى يعانون الضوضاء والهواء الملوث والزحام والتوترات العصبية والوحدة والملل ، فإنهم يحرصون على هذه المدن ويهربون إليها بنفس السرعة التى يهربون منها .. صحيح أننا نشكو من كل مصائب المدينة ونهرب منها إلى الريف أو إلى البحر ولكننا نعود إلى الزحام بعد ذلك .. والأعصاب إذا احترقت أضاءت للناس سبلا جديدة للتفكير وللتغيير وعاد الناس من جديد إلى عزلتهم .. تماما كالحيوانات فى الحديقة كل واحد فى شقته ، لا يعرف اسم جاره ولا يعنيه ذلك ويشكو من ضيق المكان ومن اللامبالاة ومن العزلة والملل ومن التعاسة .

وعندما يحاول الإنسان أن يصلح هذه الأخطاء فإنه يقيم

الحدائق العامة ، ليذهب الناس إليها ، وفى ذهاب الناس زحام جديد . . ويوجد الملاعب وفى الملعب زحام . وعلى الشواطئ زحام . . فكأن الإنسان يهرب من مدينة من الأسمنت المسلح إلى مدينة أخرى من الرمال أو من الأشجار . هذا الزحام والتزاحم والضغط والتضاغط والانفجارات النفسية والاجتماعية والأخلاقية هى التى أدت إلى ما يعانيه الإنسان !

كامل الشناوى .

(١)

كنت أعمل فى جريدة (الأساس) عندما التقيت بكامل الشناوى الذى كان يعد نفسه لإصدار صحيفة وفدية اسمها (الجريدة المسائية) وكان يملكها أحمد حمزة باشا وسيد بك ياسين . . وكان ذلك سنة ١٩٥٠ . وكنا شبابا صغارا . الكبير بيننا فى ذلك الوقت هو الأستاذ سلامة موسى . . أما نحن جميعا فصغار . . وطلب منى كامل الشناوى أن أرأس قسم الترجمة . ولكن بعد يومين اعتذرت له واقترحت المرحوم مرسى الشافعى الذى كان يعمل فى جريدة (المصرى) فى نفس الوقت وتفرغت أنا للصفحة الأخيرة . وهى صفحة أدبية .

وكان كامل الشناوى يقول : اشتر كل الصحف والمجلات الأجنبية . . وحاول أن تجد شيئا تنقله أن تترجمه أو تختار شكله للجريدة الجديدة . . وطلب منى أن أشترى (دائرة المعارف البريطانية) . . ونسيت أن أدفع ثمنها وبعد احتجاب صحيفتنا الجديدة طالبتنى مؤسسة سميث بثمن دائرة المعارف . . ودفعها فورا أحمد باشا حمزة . .

ولأن الجريدة كانت وفدية ، والحكومة سعدية برياسة النقراشى باشا ثم إبراهيم باشا عبد الهادى . . فقد نجحت الرقابة التى تحذف كل يوم صفحة وصفحتين إلى أن يضطر كامل الشناوى إلى إغلاق الجريدة . وأغلقت بعد ٤٤ عددا من حياتها القصيرة !!

وقبل أن يتقرر إغلاقها انتقل كامل الشناوى إلى جريدة الأهرام وأخذنى معه .

وهذا هو سر جاذبية كامل الشناوى . فهو لا يترك زميلا ولا صديقا ولا يتخلى عن أحد . . وإنما قد نذر نفسه لمساعدة كل الذين يحبهم ويحبونه . ومن العدل والتاريخ أن أعترف بأن كامل الشناوى قد ساعدنى وساعد جيلى من الأدباء . . هو الذى ينقلنا معه وهو الذى يتفاوض نيابة عنا وهو الذى يحدد الأجر والوظيفة فى أى مكان وهو الذى يطلب لنا المكافأة والإجازة . .

وكامل الشناوى منصة إطلاق الصواريخ فى سماء الصحافة الحديثة . . فما من أديب أو فنان رجل أو امرأة كانت له صلة بكامل الشناوى إلا ساعده كثيرا جدا . . بمن فى ذلك عبد الحليم حافظ ونجاة وفايزة ويوسف إدريس وصلاح حافظ والملاخ وموسى صبرى وسعيد سنبل ومحمود السعدنى وعشرات الأسماء الأخرى . وهو لا يتكلف الحب . وإنما هو عاشق للجمال والشباب فى كل شىء فى المرأة والرجل والشعر والطبيعة . . وكامل الشناوى قلبه أكبر من جسمه . . وقلبه يتسع دائما ولا يضيق بأحد . .

وفى جريدة الأهرام ترجمت (مذكرات روميل) . و(مذكرات ثلاثة ضد روميل) . وترجمت (الإله الذى هوى) . وتقاضيت

عن ذلك مكافأة كبيرة . طبعا هذه المكافأة طلبها لى كامل الشناوى . وسافرت بها إلى أوروبا لأول مرة فى حياتى .

وكانت بداية الرحلات الكثيرة بعد ذلك ..

ولكن البداية كانت على يدى كامل الشناوى وبمساعدته وتشجيعه .. وهو الذى قدمنى إلى يس سراج الدين صاحب جريدة (النداء) الوفدية .. وجريدة (الأهرام) المستقلة .. وفى هذه الأثناء فوجئت بكامل الشناوى يحدثنا عن أنه يريد أن يذهب إلى (أخبار اليوم) وهى قلعة الصحافة الحديثة .. وأن (الأهرام) صحيفة وقور .. ولكنها ليست التى تناسب الشباب وانطلاقات وجنون الشباب أيضا .

ولم نكن نفكر كثيرا فى الذى يقوله لنا كامل الشناوى .. وأنه يحبنا وهو قد رأى وعرف ثم أنه أقنعنا ..

وفى يوم من سنة ١٩٥٢ قال لنا : الآن سوف تذهب لمقابلة مصطفى أمين وعلى أمين - وهما أسطورة الصحافة الحديثة . وكان اللقاء بهما أملا . والعمل معهما حلما .

ومن فرحتنا نسينا أن نقدم استقالتنا من الأهرام التى أحببناها واحترمناها واحترمتنا .. ولكن مع كامل الشناوى ومن أجله يمكن أن نفعل أى شىء !

(٢)

ياليتك عرفت الشاعر الرقيق والصحفى العنيف والصديق الوفى والأب الرحيم كامل الشناوى ، الذين عاصروه ولم يعرفوه نادمون على ذلك ، والذين عرفوه حزينون عليه بعد مرور ثلاثين عاما على وفاته ، فقد كانت هذه السنون الثلاثون ثلاثين صفرا على الشمال ، أى ثلاثون ليلة خالية من الذكاء والبريق وخفة الدم والضحك والسهر حتى الصباح من كل ليلة وفى كل مكان فى مصر .

وكنا نلتقى فى الفنادق الكبرى وفى المطاعم الكبرى ، وفى بيوت كبار الفنانين فى مصر ، وكل فنان يتمنى لو وافق كامل الشناوى على السهر عنده ، قال لنا أحد الباشوات والله العظيم أنا لا مانع عندى من أن أستأجر فندقا صغيرا لكامل الشناوى وأصدقائه إلى الأبد ، فلا أمتع ولا أجمل ولا أروع من الليل مع كامل الشناوى .

لا أحد يعرف كيف يبدأ كامل الشناوى لياليه ، وهو الذى يتكلم معظم الوقت فلا أحد يجاريه ، بل نحن الذين نطلب منه أن يقول وألا يتوقف عن القول ولا نعرف كيف يبدأ الكلام ولكن نعرف شيئا واحدا هو أننا لا نعرف من أين يأتى بالحكايات والنوادر ، ويكفى أن يفتح الواحد منا فمه ليقول أى شىء ليجد كامل الشناوى عنده عشرات الحكايات والنوادر من التاريخ الحديث والقديم ومن الشعر ومن السياسة .

فنحن الذين نتسابق على أى مكان فيه كامل الشناوى ، ولسنا

وحدنا ولكن القاهرة كلها ببكواتها وبشواتها كل ذلك قبل الثورة وبعدها مع أنه لم يكن مع الثورة إلا الغم والقهر والرقابة ، ونندهش نحن المصريين للأخوة العرب الذين يؤيدون عبد الناصر مع أنهم لم يعرفوه ولا تعذبوا به ولا أودعهم السجون ومستشفيات الأمراض العقلية !

قال لى حفنى باشا محمود إن جلسة كامل الشناوى هى أعظم دواء وأروع تدليك للعضلات والأعصاب ولو كان كامل الشناوى لا يضحك كثيرا لما يقوله هو لزاد وزنه حتى يبلغ ٢٠٠ كيلو جرام .

كامل الشناوى كان وزنه فى ذلك الوقت مائة كيلو فقط وعنده سكر ولا يتوقف عن الحلويات بكل أسمائها وأشكالها .

وكامل الشناوى أخوه الشاعر الغنائى الرقيق مأمون الشناوى ، وكثيرا ما نسبوا قصائد كامل الشناوى إلى مأمون الشناوى لأن مأمون هو الأشهر وإن كان كامل هو الأرق والألطف والأذكى ، وكان كامل الشناوى شاعرا صاحب ديوان صغير ، وله كتاب فى النثر كأنه شعر ، فهو شاعر إذا قال شعرا وإذا قال نثرا وإذا تكلم .

وعندما عرفنا كامل الشناوى فى شبابنا الصحفى لم نعرف غيره ، ولم نكن فى حاجة إلى أحد غيره من قريب أو من بعيد ، إنه كامل الشناوى وكفى ، وكفى ، ونحن جميعا نسميه كامل بك وفى مصر ألوف البكوات ومنهم مئات لهم اسم كامل بك ولكن عندما نقولها فى أى وقت وأى مكان فليس إلا كامل بك الشناوى .

وكامل الشناوى صوته مليان أجش . . متميز . . يقول الشعر يهزك هزا ويستطيع أن يقول أسخف الشعر فيكون بأدائه هو كأروع

الشعر ، ويستطيع هو أيضا أن يقول أروع الشعر فيجعله أسخف كلام إلى هذه الدرجة كان يلعب بإحساسنا وإلى هذه الدرجة كان مقنعا فى الأداء .

وكانوا يطلبون إليه أن يلقى قصائد شوقى أمير الشعراء ، وكان شوقى يطلب إلى الشاعر حافظ إبراهيم أن يفعل ذلك أيضا لأن شوقى كان يتلعثم مثل الشاعر إبراهيم ناجى .

ولكن رفض كامل الشناوى أن يكون مقرئا لشعر شوقى لأنه هو أيضا شاعر .

وقد حدث لى شىء من مثل ذلك عندما طلب منى توفيق الحكيم أن أعرض كتب الأستاذ العقاد وهى صعبة ، وكان ذلك بعد أن عرضت عرضا سهلا لكتاب العقاد «أبى نواس» فصرخت فى توفيق الحكيم قائلا : أنا آخذ من عمرى وأضيف إلى عمر العقاد ! إننى أيضا كاتب ولا آخذ منى وأضيف لأى أحد أيا كان هذا الأحد !

(٣)

كان كامل الشناوى هو الطاقة التفجيرية الضخمة للمواقف المضحكة . . أو للنكت من اختراعه أو من تركيبه المهم أنه هو الذى يهزنا بالضحك . . ولكن ليس معنى ذلك أن نداعبه نحن . أى نبادله نكتة بنكتة !

غلطة وقعت فيها أكثر من مرة . . وندمت لأننى لا أطيق أن أغضبه أو يغضب هو منى لأى سبب !

مرة وجدته جالسا وحده فقلت : الله . . أنت (منعقد) يا كامل بك !

منعقد كأنه عدة أشخاص وكأنه لجنة من اللجان ! وغضب كامل الشناوى وبذلت جهدا كبيرا فى الاعتذار له والصلح معه !

وعادت الحياة بيننا كما كانت !

وغلطة ثانية : فقد كنا نصدر فى (أخبار اليوم) جريدة اسمها (أخبار الدار) .

- أى أخبارنا نحن . . وكتبت مقالا بعنوان : كامل .ب . دى ميل !

ففى ذلك الوقت كان الحديث عن المخرج العالمى (سيسل ب . دى ميل) . .

وفى المقال - وهذا هو الذى ضايق كامل بك - إن كامل الشناوى يزغزغ أصدقاءه بسكين - فهم يبكون ويضحكون فى وقت واحد !

أما الذى ضايقه فهو أن « كامل بك دخل مكتب محمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة فى ذلك الوقت فوجده يقرأ المقال للرئيس عبد الناصر ويضحك » . . يعنى أن كامل بك صار أضحوكة الرئيس والرياسة !

وكان ما كان من الغضب والقطيعة شهورا من النفور . . ثم عادت الحياة بيننا مرحة سعيدة !

وغلطة أخيرة لم أقصدها . . فقد كان كامل الشناوى مفتونا بالمطربة نجاة الصغيرة وقالوا إنه يحبها وقالوا تحبه . . ولكنى لا أصدق أنها تحبه . . . وإنما كامل الشناوى أحد عشاق المستحيل : أحب نجاة . . وأحب نور الهدى وأحب فايزة أحمد . . وهو يحب من طرف ويبكى ويتعذب وحده .

وطلب منى كامل الشناوى ألا أنشر خبر طلاق نجاة الصغيرة من زوجها وكان مهندسا زراعيا - أظن ذلك - وحذرنى تحذيرا تاما ووعدته بألا أشير إليها فى مجلة (الجيل) التى أرأس تحريرها . . وسافرت إلى الإسكندرية ونسيت أن أقول لنائبى أحمد رجب الكاتب الساخر المعروف .

فلم يكد أحمد رجب يجد هذه القصة . . هذه الفضيحة . . حتى توسع فى النشر والصور والسخرية . ولم أكد أقرأ فى مجلة (الجيل) قصة نجاة حتى انهرت . . فإن كامل الشناوى لن يصدقنى مهما أقسمت . . وغيرنا أقسم أنها غلطتى أنا وأنها غير مقصودة . . ولكن كان من الصعب جدا أن يصدق كامل الشناوى . . لأننا نقلده . . أو نتشاقى عليه . .

وقديما قال الشاعر :

أعلمه الرماية كل يوم

فلما اشتد ساعده رمانى

وكم علمته نظم القوافى

فلما قال قافية هجانى !

ولم ينطبق البيتان علينا . . فلا أحد يحب أن يؤلم كامل بك أو يجرحه . . فهو صديق وهو صاحب فضل عظيم على جيلى من الأدباء والشعراء والفنانين . . وحبه لنا جاهز . مهما ابتعدنا عنه ، أو اقتربنا ، أو غضبنا إن أغضبناه فالحب جاهز فى انتظارنا فى أى وقت .

سألتنى مذيعة الإذاعة البريطانية صفاء حرب ماذا تقول عن كامل الشناوى فى ذكراه الثلاثين : أقول فراغك لم يستطع أحد أن يملأه !

ونحن نفتقد كامل الشناوى فى أوقات كثيرة . . فى الليل وفى النهار . . وعندما تتأزم المواقف الاجتماعية والمهنية . . فقد كان هو القادر على حل أية مشكلة . . ولم يكن هو شخصيا قادرا على حل مشاكله ، فمشاكله كلها مادية . . فهو ينفق الكثير جدا ويقترض الكثير . . وهو مدين لأية مؤسسة صحفية لسنوات مقدمة . ولم يستطع أن يمسك يده . ولا أفلح أحد فى إقناعه بذلك . . ثم إنه رجل كريم رحيم وهو يتصدق على الكثيرين ويساعد الكثيرين . . وأحيانا يلعب الورق ويخسر كل ما معه .

الرجل الطفل!

ليس غريبًا أن تجد صاحب الملايين يتنقل بين الزوجات ثم المطلقات بعد ذلك .. إنه بفلوسه يستطيع أن يحقق لنفسه المعجزات .. والمرأة بجمالها وذكائها تستطيع أن تجعل الفلوس وصاحبها جزمة فى قدميها .. أو تاجا على رأسها ..

وفى الشهور الأخيرة طفحت على المجلات العالمية صور المليونير الأمريكى «دونالد ترامب» .. رجل ناجح حليوه وفلوسه كثيرة جدا .. والصقور الشقراء الجارحة تحوم حوله .. وهذا الرجل «ترامب» عنده قدرة فذة على انتقاء ضحاياه .. أو هو يختار من يكون ضحية لها .. كلهن إيطاليات فارعات فاتنات .. إنهن وحوش شقراء مدربة تدريبا جيدًا على امتصاص الدماء المخلوطة بالذهب والماس ..

شىء واحد ضايقنى فى هذا المليونير .. إنه ظهر فى إحدى الحفلات ومعه ابنته الصغيرة (٨سنوات) وقد ارتدت فستانا عاريا لامرأة ناضجة .. ورسموا لها الشفتين والعينين وركبوا لها رموش العين وأظافر الأصابع .. وعلموها أن تغمز بعينها .. هذه الطفلة الصغيرة أرادها أبوها أن تكون امرأة لعوبًا ناضجة .. لماذا ؟

منتهى القسوة والوحشية أن يدفع هذه الفتاة إلى أن تكون غانية وهى لم تكمل العاشرة من العمر . . فإذا كانت المسكينة الغنية جدا تجد نفسها أنثى ، وهى لا تزال طفلة ، فمعنى ذلك أن والدها قد حرمها من أن تكون طفلة . . تلعب كطفلة وتأكل وتشرب وتمشى وتنتقل من حجرة إلى حجرة لأنها طفلة . . إنها جريمة لا يقدر عليها إلا رجل متوحش سافل حقير - وهو كذلك فعلا !

إن الشعب اليابانى يعانى من مثل هذه المشكلة . . فالتقاليد اليابانية تدفع الطفل إلى أن يدخل فى مرحلة الرجولة فى سن مبكرة جدا . . ويقولون له إنه رجل البيت على الرغم من وجود والده . . ولذلك يرتدى ملابس الرجال . . ويحاول أن يجعل صوته غليظا كالرجال فى سن مبكرة . . وأن يشخط وينطر . . وأن يأكل قبل أخواته البنات مهما كانت أسنانهن . . أليس رجلا ؟ إذن هو يجب أن يكون فى المقدمة . . ثم إن هذا الطفل يجب أن يعمل . . وأما عمله فهو صناعة لعب الأطفال لكى يشتريها ويلعب بها كل أطفال العالم . . إلا هو . . فالطفل اليابانى محروم من اللعب ، لأنه رجل ، ولأنه كرجل يجب أن يعمل !

والمشكلة فى اليابان الآن مشكلة نفسية . . فالطفل اليابانى الذى لم يمر بمرحلة الطفولة ، وإنما يمر بها بسرعة عندما يكبر فإنه يرتد إلى الطفولة يريد أن يلعب وأن يلهو . . أى أن يكون طفلا رجلا . . ولذلك فكل مظاهر الانحراف فى مرحلة الرجولة عند الشعب اليابانى سببها أنهم عبروا الطفولة إلى الرجولة ولذلك عندما يصلون إلى الرجولة يرتدون إلى الفترة المنسية فى حياتهم . .

فهم يحسدون أطفالهم الذين يلعبون اليوم . . ونفس الوقت فليس فى الإمكان للرجل اليابانى أن يعود طفلا . . ولكنه يصير رجلا لعوبا ، خائنا للتقاليد العائلية مسرفا فى الشراب واللهو .

ولذلك عادت اليابان تصلح برامج التعليم . . وتعطى للطفل حقه كاملا فى أن يكون طفلا ليكون شابا ناجحا ، ورجلا عاقلا . .

والطفل اليابانى الذى يلعب ، هو الرجل اليابانى الذى يتفنن فى صناعة لعب الأطفال .

فجريمة كبرى أن يكون الطفل رجلا ، وجريمة أكبر أن يكون الرجل طفلا . . ولذلك فهذا المليونير الأمريكى يستحق لعنات كل مجلات الأطفال وكل أساتذة التربية !

ما المثل الأعلى ؟

دعنى أتكلم عن المصريين ، فما هو المثل الأعلى عند الموظف المصرى ، ونحن من قديم الزمن قد جعلنا (الكاتب المصرى الجالس القرفصاء) نموذجا لنا فى حياتنا العامة . . أما الكاتب المصرى فهو رجل فى صحة جيدة . . جلس قرفصاء ووضع ورقا فى حجره ووضع يديه على الورق ونظر إلى الأمام كأنه فى حالة صلاة . . أو كأنه بوذى يتأمل عالما آخر غير الواقع . . أى أنه مشغول بأى شىء آخر غير العمل المطلوب ، منه والفارق بين الموظف إياه والفرعونى ، أن الموظف يجلس على مقعد ، ويقرأ الصحف ويأكل «السندوتش» ويشرب الشاى ، ولا ينظر إلى المواطنين الذين جاءوا لقضاء مشاكلهم ، وهو لا ينظر إليهم لأسباب كثيرة من بينها : أنه لم يفق من النوم بعد ولما حاول أن يفيق جاء «سندوتش» الفول وكتم أنفاسه ، ولا بد أن يستعين على الفول بالشاى وبعد ذلك بالقهوة . . فيكون قادرا على قراءة الصحف ، والذى يقرؤه عادة لا يعجبه ولا ينفعه ولا يحل له مشكلة واحدة فى حياته . . فلابد من شرب الشاى والقهوة لعله يفيق من (الصدمة اليومية) - أما قراءة الصحف المتشابهة كلها

والتى تصور له أن المستقبل المشرق واقف أمام الباب وليس عليه إلا أن يفتح له الباب فإن فتحه فلا يجئ إلا المواطنون .. وهم الذين كانوا عنده بالأمس ، فقال لهم غدا لأنه لم يحل لهم مشكلة واحدة . وهو لم يفعل ذلك لسبب بسيط لأنه قرر ألا يعمل إلا على قدر المرتب الذى يتقاضاه . والمرتب قليل فلابد أن يكون العمل أقل من القليل !

ولابد أن نعرف ما هو المثل الأعلى عند العامل الألمانى واليابانى ، المثل عندهم يقول : ليس على قدر الفلوس نعمل ، بل يجب أن نعمل وبمنتهى الدقة ، وأن نتفوق فى العمل وأن ننجح فى المنافسة الدموية مع الدول الصناعية الكبرى فى أسواقها وعلى أرضها وأن نكسب دائما !

فالمثل الأعلى : هو التفوق على أى منافس قوى وعلى أرضه هو !

فالعامل اليابانى والألمانى كلاهما يؤدى الواجب وزيادة ، أما هذه الزيادة فهى الإتقان التام وزيادة ، وهذه الزيادة ألا يتوقف عن الإبداع لكى يتقدم على كل الدول الأخرى ويحتل أسواقها هى عاما بعد عام .. ولذلك فالإبداع فى الصناعات الألمانية واليابانية لا حدود له .. ولذلك فالدول الصناعية الكبرى أحاطت المواطن منذ طفولته بكثير من العلوم العلمية .. فالطفل يدرس الهندسة والجبر وهو فى العاشرة من عمره .. ثم إنهم يدفعونه باستمرار إلى المصانع ليلمس كل شىء بيديه .

ففى مدينة «ميونيخ» بألمانيا متحف للتاريخ الطبيعى ، وعلى

باب المتحف هذه العبارة : نرجو من السادة الزوار أن يلمسوا كل شيء بأيديهم !

ولذلك تجد الأطفال في داخل المتحف يقلبون في الشبكات التليفونية والتليفزيونية ويقلبون في الحسابات الإلكترونية ويرونها وهي تتحرك ، ومسموح للأطفال أن يفكوا الأجهزة ، فإذا لم يفلحوا في إعادتها إلى ما كانت عليه ، سوف يجدون عشرات من موظفي المتحف يساعدونهم على الشرح وإعادة التركيب . .

فهم لا يجلسون القرفصاء . . وإنما هم يقفون ويسارعون ويقلبون ويتساءلون ويحلمون بما هو أفضل ، ليتفوقوا في كل مجالات الحياة .

والمثل المصري الذي يقول (على قدر فلوسهم) معناها أنه يدري أنه يستحق أكثر . . وأنه لابد أن يعاقب الدولة أو الشركة بأن يعطيها أقل مما يجب . . حتى لو أدى ذلك إلى إفلاسها !

خلايا مبرمجة !

كان الفيلسوف الألمانى العظيم «كانت» يقول : إن أعظم شىء فى هذه الدنيا منظر النجوم فى السماء ، والإحساس بالضمير . .

فالنجوم فى السماء مظهر من مظاهر عظمة الله ، والضمير هو صوت الله . . صوت المبادئ الخيرة فى الإنسان . . فإذا نظرت إلى السماء فسوف تجد الله ، وإذا أغمضت عينيك واستمعت إلى هذا الصوت العميق فى داخلك فهو من الله أيضا !

وكان المفكر العظيم عباس العقاد يقول : بل إن أصغر قطرة من الماء لو وضعناها تحت الميكرسكوب لوجدنا صورة من عظمة الله . . فالله فى كل صغيرة وكبيرة .

وكان يقول أيضا : إن النجوم فى السماء أتفه من أن تدل على عظمة الله فهى مجموعة من الأحجار الضخمة تتوازن وفقا لقوانين الجاذبية وتظل معلقة فى الفضاء . . ولكن الشىء الذى يدل على العظمة حقا هو الحيوان المنوى . . كيف هذا الكائن الضئيل جدا يعرف طريقه إلى البويضة فى رحم المرأة . . كيف ينقل صفات الأب والأم . . كيف أن طفلا لم ير والده قط ، ثم إذا به يتكلم مثله ويمتنع عن الأطعمة التى كان أبوه لا يأكلها . . مع أنه لم ير

أباه . . كيف نجد أصابعه . أظافره صوته . . حركاته كلها مثل والده . . كيف احتفظ بها الحيوان المنوى ! .

كيف أن كل خلية فى جسم الإنسان لها برنامج . . فخلايا المخ تتجه إلى المخ وتؤدى وظيفتها . . كيف أن خلايا العين والأنف والأذن كيف أن كل الخلايا ذات برامج محددة لها قبل . . كيف احتفظ الحيوان المنوى بألوف ملايين الملايين من الخلايا المبرمجة وكيف يسيطر عليها . . وكيف . . ألف مليون كيف ولماذا ومتى ؟

هذه هى عظمة الله تجلت فى أصغر مخلوقات الله . .

رأيت فيلما عن قطرة ماء فى أحد المستنقعات . . هذه القطرة وضعوها تحت المجهر الإلكترونى ليجعلها أكبر من حجمها مائة ألف مرة .

إنها واحدة من ملايين ملايين الملايين من القطرات ولكن كيف تبدو تحت المجهر ؟ أقترح عليك أن تذهب إلى أكبر الميادين فى أيه عاصمة كبرى . . وأن تقف تتفرج على حركة المرور . . عدد السيارات وألوانها وأحجامها وأضوائها والسائقين والراكبين والمكالمات التليفونية اللاسلكية فى داخل السيارات . . أكثر من كل ذلك تجده فى قطرة ماء . . فيها حركة هائلة وومضات كهربية وإشارات لاسلكية . . وشحنات موجبة وسالبة . . ثم إن فى داخل القطرة كائنات من كل لون وحجم . . كلها تأكل وتشرب وتتنافس على الهواء والماء وتلتهم وتفرز وتنطلق بسرعات هائلة وتتخذ أشكالا وألوانا وتنقسم وتنضم بعضها إلى بعض . . وتتكور وتستطيل وتتربع . . شىء عجيب !

كل ذلك فى قطرة واحـدة من مـاء . . فـلا نهـاية لقـدرة الله الإبداعية ، ولا نهاية لعظمته ولكننا لا نرى ولا نسمع . . ولا عندنا وقت ولا عندنا رغبة . . إن أحدا لم يستطع أن يرى الله . . وموسى عليه السلام لما طلب أن يرى الله . . كان مثل أى إنسان . . فتجلى الله على شجرة طلبت قدرته . . عظمته . . جلالته . . فكما أننا لا نستطيع أن نفتح عيوننا فى قرص الشمس ، فنضع النظارات أو نعطى للشمس ظهورنا لنرى انعكاسها على أى شيء آخر . . فما بالك بمن هو أعظم من كل الشموس والأكوان - سبحان الله !

إذا جاء طفل!

تظل زوجتك عاشقة لك حتى ترزقا بطفل . فإذا ظهر الطفل ، تحولت الزوجة إلى أم . . وتحولت أنت أيضا إلى أب . . أو مواطن من الدرجة الثانية فى بيتك . وأصبحت لك مهمة جديدة وطول العمر هى أن تعمل ليلا ونهارا من أجل هذا الطفل . . وأن ترضى بدورك الذى تراجع إلى الوراء . . كلما جاء طفل ، تراجعت أنت أيضا . . حتى يلتصق ظهرك بالحائط أو وجهك بالحائط . . أو أصبح مكانك أمام باب البيت لا فى داخله!

وكثير من الآباء يغار من الأولاد ويضيق بزوجته التى لم تعد تهتم به كأنه خادم الأسرة وليس سيدها !

ولكن السياسى البريطانى الوسيم الطبيب «دافيد واين» قد فطن إلى هذه الحقيقة ، فطلب إلى زوجته من أول يوم : اسمعى إن واجبك الأول والأساسى هو أن تظل عاشقة لى أن تكونى زوجة لا أن تكونى أما لأولادنا فقط !

جاء ذلك فى اعترافاته التى صدرت أخيرا بعنوان (زمن الاعتراف) فى ٨٢٢ صفحة . و«دافيد أوين» من أعظم ساسة بريطانيا وأقدرهم على تمزيق الأحزاب السياسية التى ينتمى إليها .

فهو الذى فرق حزب العمل الذى كان من أبرز زعمائه . وعلى استعداد لأن يفعل ذلك بأى حزب آخر . . و«دافيد أوين» طويل، رشيق ، جميل ، تلتف حوله النساء فى كل الانتخابات والمجتمعات وهو أيرلندى سويسرى المانى . ولكنه أحب زوجته هذه ، وبعد ٢٤ يوما من التفاهم تزوجا بعد خناقات عنيفة وبكاء ودموع وصراخ فى التليفون وبعد خطاب من نار ، وقصائد من نور، أى من ٢٤ عاما . .

جلس فى العام الماضى يكتب مذكراته ، قالت له زوجته : لا تجعلها جافة . . ولا تحاول أن تبدو رجلا خشنا لا تهتم بالمرأة . . فهذا يجعلك إنسانا طبيعيا أحبته النساء ولا يزال محبوبا . . وفى نفس الوقت سوف تجعلنى أقوى من كل النساء . . لأننا تزوجنا ولا نزال نعيش عاشقين !

يقول «د .اوين» عن حياته السياسية : كنت متعجلا . أو كنت أحمق . ولكن انتهى كل شىء الآن ، وسوف أبدأ حياة جديدة . . ولست آسفا على أى شىء . . إن كل ما أريده هو المزيد من الحب !

وهذه العبارة الأخيرة خادعة ، فقد يظن القارىء أنه رجل عاطفى . والحقيقة أنه ليس كذلك . وإنما هو رجل سياسى . . والناس أمامه أدوات . . كل الناس أدوات يجب استخدامها لصالحه هو وإن كان من الواجب عليه أن يتظاهر فى نفس الوقت بأنه هو الأداة فى أيدى الناس .

وعندما طلب إلى زوجته أن تحبه دائما . . أى أن تكون عاشقة لا

زوجة ولا أما ، إنما هو يمشى على القاعدة الذهبية فى السياسة : كل إنســـان أداة لإنســـان آخـــر . . وكل الناس أدوات فى يد الرجل السياسى . . فزوجته أيضا أداة - يجب أن تكون أداة . . تعمل ليلا ونهارا لصالح هذا السياسى « د . أوين» الزوج والأب والعاشق دائما !

إنه ليس إلا واحدا من ملايين الساسة الذين يتظاهرون بالحب لكل الناس . . ولكنه فى الحقيقة لا يحب شخصا إلا نفسه !

شجاعة نادرة!

أحد أبطال كرة السلة الزنوج الأمريكان أصيب بمرض الإيدز .. مصيبة كبرى . . وأكد له الأطباء أنه لا أمل فى الشفاء . . وأنه سوف يبقى مريضا ينقص وزنه كل يوم وتضعف مقاومته حتى يسقط ميتا . . هذه نهاية مؤكدة لأن العلم الحديث لم يكتشف علاجا لهذه المأساة التى تنتقل أثناء العملية الجنسية من مريض إلى مريض . . ولا تنتقل بالملامسة - وإلا ما كانت الأميرة قد ذهبت إلى مصافحة عشرات المصابين الإنجليز - ولا تنتقل عن طريق القبلات . . ولكن عن طريق المخالطة الجنسية الكاملة !

وقد ظهر البطل الأمريكى عشرات المرات . . مئات المرات يؤكدون أنه مصاب . . وأنه يحمد الله أن زوجته ليست مصابة . . وأعلن الأطباء أن الجنين الذى فى بطنها والذى فى الشهر السابع ليس مصابا !

وقد استغلت الدعاية الصحية هذا البطل ليطلب إلى الشباب الامتناع عن الجنس . . عن الحرام . . فإن العقوبة رادعة تماما . . والعقوبة لا ينفع معها أى شىء آخر . لأنه لا شفاء !

وأعلن البطل الزنجى أنه سوف يستأنف حياة جديدة . . هذه

الحياة هى الانتقال على قدميه . . ثم على الأعناق يدعو الناس فى كل مكان إلى الاستقامة والفضيلة . . ويدعو الناس الذين أحبوه وأعجبوا به فى الملاعب إلى الابتعاد عن الشبهات المرضية .

وأنا أنقل معنى الحديث الذى دار بين البطل الزنجى واسمه (ماجيك) وبين مذيع التليفزيون الأمريكى .

قل لى يا بطل كيف حالك الآن ؟

- أنا كويس جدا . . معنوياتى مرتفعة جدا .

كيف تكون مرتفعة وأنت تعرف النهاية ؟

- أعرف النهاية صحيح . . ولكنى مازلت حيا . . قادرا على أن أدعو الناس إلى الفضيلة . . وسوف أفعل ذلك حتى آخر لحظة من حياتى . . فإذا كنت غير قادر على أن ألعب وأجعل الناس يصفقون لقدرتى وذكائى وبراعتى ، فأنا قادر على أن أجعل الناس يصفقون لصدقى ولإنسانيتى وعلى أن أكون مفيدا نافعا حتى آخر أيام عمرى . .

ألست نادما ؟

- نادم فعلا .

هل تتهم أى أحد ؟

- لا أتهم أحدا . . فأنا عندما ارتكبت غلطتى كنت خائنا لزوجتى المخلصة . . وكنت طماعا . . فزوجتى جميلة وذكية وقد وقفت إلى جوارى طويلا وكثيرا وأنا أستحق هذا العقاب . . وإن كانت زوجتى تغضب منى عندما أقول ذلك . . فهى ترى أنها

غلطة .. ولا أحد لا يخطىء ولكن العقاب كان لنا نحن الاثنين ولأولادى ولأسرتى ولعشاقى فى كل مكان .

هل عرفت ما الذى قالته والدتك عندما مرضت ؟

- لا أعرف ..

لقد سألناها عن شعورها فقالت : إنها غلطة زوجته التى انصرفت عنه .. فهى لا تكف عن الحمل والولادة .. فهو لا يجد إلا امرأة مريضة منفوخة ..

إنه شاب عظيم غنى .. فهى التى دفعته إلى هذه الجريمة فى حقه وحق أولاده ووالديه والملايين من المعجبين به .

ورأيت (ماجيك) يضحك من كل قلبه .. لقد كانت ضحكته عريضة واسعة حتى كاد يقع من طوله .. إنه ضحك من كل قلبه .. وبكل ما تبقى لديه من عافية وقال : لا تنس إن أمى حماة .. وإن زوجتى مهما فعلت فإن أمى لا ترى ذلك شيئا مهما .. ولكن ليست غلطة زوجتى إنما غلطتى .. ولكن ليس الآن وقت الندم .. أرجو ألا تشغلنى عن القيام بواجبى .

ثم دفع المذيع جانبا واتجه إلى ملايين المشاهدين وهو يقول : صباح الخير يا أمريكا .. صباح الصحة والفضيلة .. إننى أمامك نموذج لما يجب ألا يكون عليه الإنسان !

إنها شجاعة نادرة !

واحد لا يخجل !

على الأقل يوجد فى أمريكا واحد لا يخجل ولا ينكسف على دمه ولا تنكسر رقبته من الشعور بالعار .. ذلك هو السناتور «روبرت كيندى» . تصور أن هذا الرجل عضو فى اللجنة التى تستجوب القاضى الزنجى «كلرنس توماس» ، الذى رشحه الرئيس «بوش» ليكون واحدا مدى الحياة من أعضاء المحكمة العليا .. وهو قاض زنجى متحرر قد بلغ سن المعاش .. هذا الذى رشحه «بوش» متزوج من أمريكية بيضاء وتبلغ من العمر ٤٣ عاما ..

هذا القاضى لابد أن يقف أمام اللجنة يسألونه ليعرفوا شخصيته وموقفه من عدد من القضايا .. وإن كان أحد له اعتراض عليه فليتقدم .

وتقدمت سيدة زنجية أستاذة فى الجامعة وقالت : إنه بصبص لى .. وغمز لى بعينيه وقال لى : على فين يا جميل فقلت له : على البيت .. فقال : بيت مين يا حلوة يا أسمر أنت .. فقلت له : بيتى .. فقال : بيتى وبيتك واحد .. وحاول إغرائى فراح يقول ألفاظا نابية .. ويحدثنى عن فحولته الجنسية ؟!

وكانت هذه السيدة قد حلفت على أن تقول الحق ولا شىء إلا الحق وكل الحق . ونفى القاضى الزنجى كل ما قالته أستاذة

القانون . . وكانت المناقشة على مسمع ومرأى من ٢٥٠ مليون أمريكى . . فضيحة بجلاجل من المحيط الأطلسى إلى المحيط الهادى!

ورأى الرئيس «بوش» الرجل الذى رشحه وهو يرد ويدافع عن نفسه . وأعلن أنه معجب بشجاعة الرجل وقوة منطقه . . وبعد مداولات ومناقشات استغرقت ثلاثة أيام وافقت اللجنة على اختياره بأغلبية أربعة أصوات . . ورفضت كل دعاوى السيدة الكاذبة ! وهذا يؤكد أن الرئيس الأمريكى أضعف بكثير جدا من الدستور . . فهو يستطيع أن يشعل النار فى الكرة الأرضية والكواكب الأخرى بكلمة واحدة ولكنه لا يستطيع أن يعين رجلا من رجاله دون موافقة هذه اللجنة التى تضم السناتور «كيندى» المتهم فى فضيحة أخلاقية . . فقد قتل سكرتيرته فى ظروف غامضة . . وبراءته لا تعنى أنه هو وأسرته قد ورثوا المال والعار معا . فمنذ أيام ظهرت سيدة أمريكية حسناء تقول إنها كانت عشيقة الرئيس «كيندى» ، وأنه كان يوفدها إلى زعماء المافيا . . وأن المخابرات الأمريكية أرغمتها على الصمت . . ولكن هذه السيدة قد دنت من الموت بالسرطان . . فكان لابد أن تقول . وقالت فى الصحف البريطانية إنها كانت العشيقة . ولولا حبها للرئيس «كيندى» وإعجابها به لأضافت فضيحتها إلى فضيحة «مارلين مونرو» التى اغتالتها المخابرات الأمريكية دفاعا عن الرئيس «كيندى» ! وفى الشهر الماضى اتهم ابن أخت السناتور «كيندى» بهتك عرض سيدة . وأن هناك شهودا على ذلك . والآن تباع هذه التسجيلات الصوتية لمحاكمته !! وطبعا تلعب ملايين الدولارات الدور الرئيسى فى تبرئة هذا الشاب وخاله وكل واحد فى أسرة «كيندى» !

وهكذا يتحقق له نصر آخر فالرجل الذى اختاره رئيسا للمخابرات هو السيد «جيتى» ظلوا يستجوبونه حتى نشفوا ريقه ودمه . وهم يريدون أن يعرفوا العلاقة الحقيقية من موقفه من فضيحة إيران - جيت - أى بيع أسلحة لإيران وتحويل ثمنها إلى الثوار فى نيكاراجوا . . وبعد أن عصروا الرجل حتى لم يعد فيه ماء ولا دم ولا شحم ، قرروا براءته من هذه التهمة والموافقة على ترشيح الرئيس «بوش» له مديرا جديدا للمخابرات وبأسلوب جديد فى إدارتها ، وفى عالم خلا تماما من الحرب الباردة!

وأخيرا انتصر الرئيس «بوش» فى عقد مؤتمر السلام فى مدريد والتقى فى هذا المؤتمر المستحيل مع الممكن مع عظمة الرئيس «بوش» - أعظم وأقوى وأذكى رئيس عرفته الولايات المتحدة . . فهل يا ترى نجاح «بوش» هذا سوف ينقل عدواه إلى كل أطراف النزاع العربى الإسرائيلى . . وإلى قيام إدارة جديدة فى الاتحاد السوفيتى تكون قادرة على تلقى المعونات والمليارات وتحسن إدارتها وتوزيعها ؟ !

إن «جورباتشوف يحاول» . وإذا نجح فقد تعانق نصر الثائر العظيم «جورباتشوف» والرئيس العظيم «بوش» !

عش الغراب!

تذكرت أننى كنت مع د . «عبد العزيز حجازى» رئيس وزراء مصر فى زيارة لإحدى الإمارات العربية . . ودخلنا أحد المستشفيات نتفرج عليه . . طبعا تحفة علمية متطورة . . وكان د. «حجازى» كأب يسأل أولاده قبل السفر إن كانوا فى حاجة إلى شىء ما . . فقالوا جميعا : نعم فى حاجة إلى مرضى . . !

وضحكنا . . وهم أكثر الناس سعادة عندما تلتقط قوات الأمن أحد الإيرانيين عائما من إيران وهاربا إلى الجانب العربى من الخليج . . فيكون الهارب عادة مرهقا مهدودا ومكدودا . . وهنا يتخاطفه الأطباء ويدخلونه فى جهاز ويخروجونه من جهاز آخر ويظلون يعملون ويتحدثون ليلا ونهارا . . فهو صيد سمين ، وهو فرصة لكى يعمل الأطباء ويستخدموا أجهزتهم الحديثة جدا ، التى لا يلجأون إليها إلا قليلا !

تذكرت هذه الحادثة الطريفة وأنا أقرأ خبرا هز علماء أوروبا جميعا . . فقد عثروا على جثمان رجل مات من أربعة آلاف سنة وعلى ارتفاع ألفى متر . . وعلى الحدود بين النمسا وإيطاليا . . ولما حسبوا موقع هذا الإنسان القديم وجدوه يدخل فى حدود إيطاليا . . ولكن علماء النمسا وجدوا صيدا نادرا . . والتف حوله العلماء

يدرسون تكوين هذا الإنسان وطوله وعرضه . . وشكل الإنسان والجمجمة . . وما الذى جعله يصعد الجبل ليموت فى هذه المنطقة الباردة . . وقد احتفظ به الجليد كل هذه الفترة الطويلة . .

ووجد مع الرجل كيس من الجلد . . وفى الكيس سكين من البرونز وسهم وقوس . . وزوجته وضعت معه بعض الأحجار الزرقاء منعا للحسد .

ولم يعرفوا اسم الرجل فاطلقوا عليه اسم الحيوانات التى كان يصيدها «ايبكس» . . ولم يجدوا معه زوجة أو أحدا من أولاده . . ولا عرفوا القرية التى كان يعيش فيها . . ولابد أنه من التعب قد غلبه النوم . . ولما حاول أن ينهض بسرعة كان الجليد قد غطى المنطقة . . واستحال عليه أن يعود . . لقد ادخره التاريخ لنعرف ما الذى كان فى ذلك الوقت . . الذى كان يأكل ويشرب وما هى أمراضه وكيف كان يعالجها . .

وهل أصابه مرض . . وهل شفى منه . . وهل كان قويا أو ضعيفا . . وهم الآن يبحثون عن الحيوان الذى قتله وعن السهم الذى أصابه . . ويبحثون أيضا إن كان صيادا منفردا . . أو كان يتقدم مجموعة من الصيادين . . إن كان شيخا للقبيلة . . إن كان يحارب أحدا . . ثم كيف نام من التعب . . وعلى أى شئ نام . . وبأى شىء كان يتغطى وأين هذا الغطاء . . ثم إنه لم يمت من البرد . . وإنما هو سقط فى الجليد . . فاحتفظ به الجليد . . ولم يستغرق وقتا طويلا حتى يقف قلبه . .

وقد وجدوا بعض الأعشاب البالية فى ملابسه أو فى جسمه . . وبتحليل هذه الأعشاب وجدوا أنها عش الغراب . .

وأنه كان يأكل وأن بقايا الطعام قد سقطت على بقايا ملابسه .. ووجدوا ذرات من مادة حلوة فهل عرف الإنسان السكر فى ذلك الوقت .

أما اللغة التى كان يتكلمها هذا «النمساوى» فهى اللغة الهندية الأوروبية التى هى فرع من اللغة السنسكرتية .. وعلماء اللغات يعرفون أنه توجد كلمات وقواعد لغوية سنسكرتية فى بعض اللغات الأوروبية .. وبتحليل الأذن وجدوا أنه لا يستبعد أن يكون ضعيف السمع .. وإن هذا هو السبب فى استغراقه فى النوم فلم يسمع جيدا العواصف الجليدية ولا تراكمها ولا انهيارها .. وإلا كان قد عاد إلى قريته قبل أن تتجمع كل هذه الأخطار ..

ووجد العلماء النمساويون أيضا أن الرجل كان يعيش قصة حب .. أو كانت حياته هادئة عادية .. فلا شىء يدل على أنه كان قد تشاجر مع زوجته وأنه ترك لها الدنيا وذهب منفصلا بعيدا عنها ، عن الحياة معها .. فالهدوء على وجهه والاسترخاء فى ملامح الوجه وعضلات الذراعين والساقين .. وأهم من ذلك كله .. لماذا كان هذا الرجل رشيقا .. فما هى المواد التى كان يتعاطاها لكى يبقى هكذا رشيقا دون ضعف ..؟

وبقية القصة لم يروها الرجل (الهدية) لنا من عصر ما قبل التاريخ إلى علماء اليوم وعشرات السنين القادمة ، سوف نعرفها يوما بعد يوم .. وقد طلبت جامعات أوروبية وأمريكية قطعة صغيرة من جسم الرجل ليدرسوها ولكن النمساويين رفضوا أن يفرطوا فى خلية واحدة من مواطنيهم !

لها شارب !

انتهت موضة الجزم الحديدية فى الصين .. فقد كانوا فى الصين يضعون أحذية من الحديد فى أقدام النساء لتظل القدم صغيرة .. من معالم الجمال عندهم .

ولا يدل ذلك على أنهم بدأوا يحررون المرأة .. وإنما هذا يدل على أن الذوق العام قد تغير .. فلم يعد الرجل ينظر كثيرا إلى قدم المرأة وهى تحاول أن تقفز من فوق سطح الأرض كأنها عصفور أو (تتكعبل) فى مشيتها وتظهر معالم الأنوثة عليها .. فالمرأة الصينية تغطى كتفيها ولكنها تشق الفستان نصفين اعتقادا بأن الجمال أن تكشف ساقيها ومن الأدب أن تغطى كتفيها .. بينما المرأة الهندية تكشف جزءا صغيرا وتغطى ساقيها أيضا .

ولكن الأبحاث الدولية تؤكد أن فى قارة آسيا وحدها تختفى ٣٠ مليون أنثى كل سنة .. أين ؟

فالتفرقة العنصرية هى القاعدة : أى العناية بالولد الذكر وإهمال الأنثى .. فإذا مرض طفل ذكر فى البيت أسرعوا به إلى الطبيب ، وإذا مرضت الأنثى أجلوا ذلك إلى الغد أو ما بعد الغد .. فلا يهم إن شفيت ولا يهم إن عاشت .. المهم الولد ..

وقد مات عشرات الملايين من الإناث بسبب الإهمال المتعمد لحالاتهم الصحية أو الغذائية فى الصين والهند .

وعلى الرغم من أن الذكور يولدون أكثر فإنهم يموتون أكثر .. فى المعامل والحقول والحروب أيضا ..

ففى أفغانستان يوجد ٩٤ امرأة لكل مائة رجل ، وكذلك فى بنجلاديش وبوتان ونيبال وباكستان وتركيا .

فالشعوب الفقيرة فقط هى التى تقتل إناثها عمدا أو إهمالا .

وفى ولاية كيرالا الهندية ، أكثر الولايات ثقافة نجد ١٠٤ رجال لكل مائة امرأة مثل الولايات المتحدة تماما .

أما فى سن الرضاعة فالأطفال الذكور فى الدنيا كلها مثل عدد الإناث .. فثدى الأم لا يستطيع أن يميز بين الذكر والأنثى ويفاضل بينهما ولكن بعد ذلك ينفرد الذكر بالعناية والأنثى بالإهمال .

وكان العلماء يتصورون أن وأد البنات كان من التقاليد الجاهلية ولكن ثبت أن الصين والهند لا تزالان تدفنان البنت حية .. وتريان أنها نذير شؤم على الأب والأم والمجتمع .. وأن الأسرة تدفن البنت حماية للناس جميعا ؟!

وبلاد غربية كثيرة ترتفع نسبة الإناث على الذكور - أمريكا وبريطانيا وبولندا - يوجد ١٠٥ نساء لكل مائة رجل .

وفى تقرير للأمم المتحدة أن عدد الإناث جنوبى الصحراء الغربية أعلى من عدد الرجال .. والسبب هو أن المرأة تعمل مثل الرجل تماما .. على أنها تتحمل كل أعباء الطعام والتربية والرضاعة ..

فهذه المناطق التى فيها الجفاف والمرض نجد ١٠٣ نساء لكل مائة رجل .

وجاء فى تقرير الأمم المتحدة أن حكومة الهند ضبطت مذبحة بشرية تقع كل سنتين فى إحدى القرى . فأهل القرية يجمعون البنات الصغيرات ويحرقونهن جميعا فى ليلة واحدة . . ولكى يقوموا بإخفاء هذه الجريمة فإنهم يحرقون مع البنات الصغار عددا من الأبقار النافقة . . وهم يرتكبون هذه الجريمة كل سنتين ، قبل أن تكبر الإناث وتصبحن قادرات على الهرب أو على الشكوى أو الفضيحة . . وبعض الأمهات يهربن بأطفالهن إلى الولايات الأخرى .

كما وجدوا فى نيبال أن القبائل تجعل البنات ترتدين ملابس الرجال ويقدمون لهم شرابا وطعاما يجعلان الصوت غليظا . . وفى نفس الوقت يستخدمون أعشابا جبلية تجعل الشعر ينمو فى الوجه . . فيكون للبنت لحية وشارب . . وبعد ذلك يسمحون لها بأن تحمل وأن تلد بشرط أن تحتفظ بكل المظاهر الخارجية للرجال - حسب اعتقادهم - ففى ذلك تضليل للشيطان حتى لا تحل لعناته على الجميع ! !

السبب ذبابة!

ذبابة بيضاء جعلت الحياة سوداء على حدود أمريكا والمكسيك . . هذه الذبابة الصغيرة جدا ((طولها ٣ مليمترات) قد هبطت على شكل سحب بيضاء فأهلكت كل النبات . . فهذه الذبابة البيضاء تمتص ورق النبات حتى يجف . . والنبات نفسه حتى يموت . . ولذلك ماتت الملايين من البطيخ والشمام والخس والجزر والكرنب . . وارتفع سعر الواحدة من نبات الخس من دولار إلى دولارين .

أما القرنبيط الذى أعلن الرئيس «بوش» أنه يحبه ، فارتفع سعره فى كل مكان ، فسوف لا يجده الرئيس وسوف يرتفع سعره إلى السماء ، فقد أكلته الذبابة البيضاء .

ويقدر الخبراء بأن خسارة هذه المزارع قد وصلت إلى ألف مليون دولار .

ومنذ عشر سنوات جاءت ذبابة من ليبيا وانتقلت إلى أمريكا فقضت على كل الفواكه . .

وكانت كارثة قومية . . فقد بلغت الخسائر ١٨ ألف مليون دولار .

أما الذبابة البيضاء الجديدة فقد ظهرت أول الأمر على نبات نسميه فى مصر بنت القنصل (بوينسسيا) .

وهذه الذبابة قد وصلت إلى أمريكا سنة ١٩٨٦ في شحنة فواكه . . ولكن أحدا لم ينتبه إليها . . ويؤكد علماء الآفات الزراعية أن هذه الذبابة قد جاءت من العراق . . وظلت تنمو وتتكاثر حتى صارت وباء فى أمريكا الغنية بكل أنواع الفواكه والنباتات . .

والمشكلة الآن أنه لا يوجد فى أمريكا أى مبيد حشرى قادر على وقف هذه الذبابة البيضاء .

وقد واجه الشعب الأمريكى هذه الذبابة بحفر الأرض حول النباتات للقضاء على الموارد الغذائية الجديدة التى قد تلجأ إليها . . وأحرق كل الأعشاب حول الحقول التى يمكن أن تختفى فيها .

وأعلنت وزارة الزراعة أنه أفضل للشعب الأمريكى إحراق أرضه كلها على« أن يجعلها معملا لتفريخ ملايين الملايين من هذه الذبابة البيضاء .

ويفكر الأمريكان فى إطلاق عدد من العناكب التى من خصائصها أن تبيض على ظهر الذبابة البيضاء فإذا فقست هذه العناكب تأكل الذبابة البيضاء . .

وسوف يصل إلى القاهرة عدد من الخبراء للبحث عن النباتات الطفيلية التى تنبت إلى جانب بنت القنصل لكى تساعد فى القضاء على هذه الذبابة .

ومن الغريب أن هذه الذبابة صغيرة جدا لدرجة أن خمسا منها يمكن أن تغطى رأس دبوس . . ولا يمكن إحصاء عددها بأى

شكل . . فهى تهاجم الحقول والحدائق وتدخل فى عيون وأفواه وآذان الناس . . ومن الغريب أن لها ملمسا ناعما كأنها من الحرير أو القطيفة . . ولكن هذه الذبابة الطفيلية لها قدرة فريدة على امتصاص ماء الحياة من النبات . . وقطع الماء عن الثمرات .. وبذلك تصاب كل الثمار بالجفاف . . وتموت على أرضها أو على الأغصان وبعد أيام تسقط أو تتعفن وبسرعة !

وفى معامل وزارة الزراعة الأمريكية يقومون بتجارب الشموس الصناعية . . أى تعلق مصابيح على الحقول تطلق أشعة فوق البنفسجية لقتل الحشرات . . وهو مشروع مكلف جدا ولكنه قاطع . . والبحث يجرى فى تخفيض سعر هذا المشروح وتوسيع نطاقه . . وفى حالة هذه الذبابة البيضاء فإنه يمكن أن تقوم الطائرات باعتراضها وتصويب الأشعة فوق البنفسجية عليها فيقضى عليها من فوق لفوق .

وحتى يمكن للإنسان أن يواجه هذا الكائن الضئيل ، فسوف يمضى بملايين الملايين فى أكل كل ما هو أخضر فى أمريكا !

هونيكر: مجرمًا!

(١)

الدستور الأمريكى يعطى للرئيس الحق فى خطف أى إنسان من أى مكان إذا قام بتعريض حياة الأمريكان والممتلكات الأمريكية لخطر . . هذا إذا لم تشأ الدولة أن تقوم بتسليم المجرم . . هناك دول بينها وبين أمريكا معاهدات لتسليم المجرمين . .

وقد نزلت قوات أمريكية فى جمهورية بنما لخطف نورييجا رئيس الجمهورية الذى كسب مئات الملايين من تهريب المخدرات إلى أمريكا . والرئيس سجين يحاكمونه الآن فى أمريكا . .

والأمريكان يطالبون ليبيا بتسليم اثنين من ضباطها الذين تسببوا فى تحطيم الطائرة الأمريكية فوق اسكتلندا سنة ١٩٨٨ . وقد كشفت المخابرات الأمريكية عن وجود قطعة خضراء من البلاستيك وقطعة قماش من قميص عليه علامة . . وتم تركيب هذه الفزورة هكذا : البلاستيك الخضراء جزء من قنبلة تصنع فى سويسرا خصيصا لليبيا . . والقميص مصنوع فى مالطة والاسم هو اسم شركة إنتاج القنابل السويسرية . . والعلامة لطيران مالطة واستخدمت علامات شركة طيران مالطة ووضعت على حقيبة

سامسونيت فى داخلها راديو قنبلة صغيرة شديدة الإنفجار وانتقلت الشنطة من مالطة إلى لندن . ولأن أحد الضابطين يعمل فى الطيران فمن السهل عليه أن يحرك الشنطة فى أى مكان دون صعوبة . . ووضعاها فى الطائرة الأمريكية . . ثم تفجر القنبلة بجهاز إرسال من الأرض !

وألمانيا هى الأخرى كشفت جرائم أخلاقية ومادية لرئيس جمهورية المانيا الشرقية هونيكر . . فالرجل العجوز كان على علاقة بعدد كبير من النساء ينفق عليهن من أموال الدولة . . من سرقة أموال الدولة . . وكان يسخر المخابرات فى تحقيق لذاته والاتيان له بالأموال من تحت الأرض . . وبعد ؛ فقد أعلنت الصحف الألمانية عن فضائح رئيس الجمهورية وعدد من الوزراء . . أما جريمته الكبرى فهو أنه أمر بإطلاق الرصاص على الألمان الهاربين من الشرق إلى الغرب ٢٠٠ قتيل !

وقد هرب إلى روسيا بدعوى أنه مريض . . وهرب الوزراء إلى داخل المانيا الشرقية ثم الغربية وألقى القبض عليهم . واعترفوا بما هو أبشع من كل ذلك . . قدموا قوائم بالإرهابيين الفلسطنيين والعرب الذين تدربوا فى ألمانيا الشرقية وفى مخابراتها (استاشى) وفى مخابرات روسيا . . وكشفوا عن جرائم فردية لم يكن أحد يعرف أن لها أى مدلول سياسى وأن الفاعل هم رجال المخابرات الألمانية الشرقية .

وفى كل لقاءات المستشار الألمانى كول مع الرئيس جورباتشوف أثير موضوع رئيس الجمهورية المختفى فى روسيا والذى هدد بالانتحار إذا ألقى القبض عليه . . وقد وعد الرئيس جورباتشوف بأن ينظر

ويفكر ، ثم أعلن الرئيس السوفييتى أنه لن يسلم هونيكر ، لا حماية لسفالته ونزواته ، ولكن لاعتبارات إنسانية فالرجل مريض والرجل كبير السن .. وموته وتعذيبة لن يفيد شيئا .

فلم يكن الرجل وحده فى كل خطاياه . وإنما كان له مساعدون آخرون ، وقال جورباتشوف لو طبقت قاعدة تسليم الحكام المجرمين لوجب أن نضع فى« السجن أناسا كثيرين فى الشرق والغرب .

ولكن يلتسين رئيس جمهورية روسيا قد أعلن أنه لابد من تسليم هونيكر وأنه يجب ألا نحمى المجرمين أيا كانت مواقعهم من السلطة وأيا كانت حالتهم الصحية فروسيا لم ترحم شيخوخة الزعيم النازى «هيس» .. فقد كان مريضا قبل موته بعشرين عاما ولكن روسيا تشددت فى ضرورة سجنه حتى الموت .. فكيف تصر على سجن «هيس» ولا تصر على سجن «هونيكر» . لقد وعد يلتسين بتسليم هونيكر ولو أدى ذلك إلى خلاف جديد مع جورباتشوف رئيس الاتحاد السوفييتى !

(٢)

جورباتشوف : جاء إلى السلطة صغيرا يكبر . . وخرج منها عظيما . . بل أعظم رجل فى هذا القرن . . جاء إلى السلطة دون إراقة دماء ، وخرج منها على رجليه . . قلب الدنيا . . أقصد أوقف الدنيا على رجليها - بعد أن كانت تمشى على رأسها . . فالشيوعية مذهب سياسى قائم على العقل . . فلا هناك قلب ولا دين . . وإنما كل شىء (مادى) - مادة تتحول إلى سلطة وسلطة تؤكل ويشربها ويلبسها الناس . . ولا شىء إلا تحول مادية . . فالتاريخ كله هكذا : أناس يعملون ويحاولون أن يحققوا درجة من العدل العنيف - أى العدل بالقوة .

وكان من عظمة هذا الرجل أن اعترف - وهو شيوعى مائة فى المائة - أن التجربة الشيوعية قد فشلت . وأنه لا أمل فى إصلاحها فقد أدت إلى تأخر الشعوب الشيوعية سبعين عامًا وإن الشيوعية إذا كانت قد قضت على العبقرية ، فإنها قد جعلت طبقة من القياصرة من العمال والكوادر الحزبية . . طبقة متميزة تأكل وتشرب وتتفسح على دم الشعب . .

وكذلك قرر جورباتشوف أن الحل : هو حل الحزب الشيوعى وتسريح كوادره المتسلطة على الشعب . . وقد أدى النظام الشيوعى الجامد إلى تخلف اجتماعى وصناعى فى الدولة الشيوعية . . ولم يعد فى الشيوعية شىء يغرى أى إنسان آخر . . فالبواب فى أمريكا عنده من وسائل الترفيه والراحة أضعاف ما لدى الرئيس

جورباتشوف نفسه . . فعنده سيارة وثلاجة وتليفزيون وحنان اجتماعى . . وقدرة لا نهاية لها على أن يشترى بالتقسيط . . ومن المستحيل أن يموت جوعا . . فالذين لا يعملون فى أمريكا لهم معاشات . . فلا جوع ولا مرض بلا علاج ولا خوف على غده . . لا هو خائف ولا أولاده . . فما الذى تستطيع أن تعطيه الشيوعية للعاطلين فى روسيا . . أو فى أى مكان . .وهذا الرجل غير تقليدى فى كل شىء : فهو ثورى هادىء . . وروسيا لا تعرف الثورة بلا دم .

وهو الزعيم الشيوعى الوحيد الذى لم يطردوه ولم يحولوه من رئيس دولة إلى ناظر محطة . . ولم يتركوه ليموت فى إحدى الحدائق . .

وهو استقال لكى يكون على رأس مؤسسة استشارية اسمها مؤسسة جورباتشوف . وهو لم يقبل أية وظيفة مهما كانت رفيعة المستوى خارج بلاده . . فهو ليس هاربا ولا هو ضد بلاده ، ولا هو بلغ سن اليأس بحيث أصبح عاجزا عن القيام بأى عمل وطنى . . إنه تمنى فقط . ولكنه لا يزال هناك جاهزا إذا أراده الشعب . .

حتى زوجته هى الأخرى ليست تقليدية . .

فمن عادة زعماء الروس أن يضعوا زوجاتهم وراء الأبواب مثل حريم السلطان . ولا تظهر الزوجات إلا فى المناسبات الحزينة كأن يموت أحد الزعماء فتمشى الزوجات وراء النعش . . وهن جميعا سيدات ممتلئات ولا تستطيع أن تفرق بينهن وبين أية امرأة عادية . . ربما كن دون ذلك كثيرا . ولكن «رئيسة» زوجة جورباتشوف كانت أستاذة جامعية وفى غاية الشياكة والأناقة .

وهى تخرج وتسافر مع زوجها فى كل مكان . وهى أول سيدة سوفيتية تتردد على محلات الأزياء العالمية فى العواصم الأوروبية والأمريكية . . ولا يرى هو ولا ترى هى فى ذلك حرجا . . ولا أحد يسأل من أين لها هذه الأموال . . فمصادرها معروفة : وهى أن الرئيس جورباتشوف قد باع حقوق ترجمة كتابة عن (البريسترويكا) إلى كثير من دور النشر العالمية مقابل بضعة ملايين !

وهو الثورى الوحيد الذى اختار كل الذين انقلبوا ضده .. وهوالثورى الوحيد الذى نجا بحياته من الانقلاب بينما المتآمرون عليه كانوا سكارى . .

وسوف يبقى جورباتشوف أعظم رجل فى القرن العشرين .. فلم يحدث فى التاريخ أن استطاع رجل واحد أن يحرر مئات الملايين من مذهب حديدى جامد ويمنحهم حرية الاختيار .. وكان من أهم قراراتهم أن يستقيل الرجل الذى أعطاهم الحرية . فاستقال !

لولا الهجرة!

المؤرخ المصرى الأسعد بن مماته له كتاب عنوانه «قوانين الدواوين» يتكلم فيه عن المدن والقرى فى مصر وعن عادات مصر وعجائبها . توفى ابن مماته سنة ١٢٠٩ ، وكان وزيرا فى عهد الفاطميين .

ومن أعجب ما قاله ابن مماته فى وصف أهل مصر ولماذا لا يحبون الشعر ولا الهجرة ، بينما العالم كله يتجه إلى مصر ويحب أن يعيش فيها . قال ابن مماته :

«إن أهل الدنيا مضطرون إلى مصر يسافرون إليها ويطلبون الرزق فيها . وأهل مصر لا يطلبون الرزق فى غيرها . ولا يخرجون إلى سواها . حتى لو ضرب بينها وبين الدنيا سور ، وذلك لغنى أهلها عما سواها» .

يعنى من رأيه أننا لا نخرج من مصر لأنها بلاد غنية . .

وكان الأصح أن يقال إننا لو فتحنا فى سور مصر ألف باب فإننا لن نخرج منها . .

أما السبب فى رأى ابن مماته فهو أن بلادنا غنية . ولذلك فشعبنا لا يهجرها إلى غيرها . . لأنها أغنى وأفضل البلاد .

فنحن معذورون إذا لم نخرج منها والعالم كله معذور إذا قصدها وتسلق أسوارها وتسلل منها إلى بلادنا . .

ولو عاش ابن مماته وهو مؤرخ مصرى قبطى فى زماننا لا ندهش لحالنا . . فبلادنا ليست أغنى البلاد . . وليس عليها أسوار تمنع الناس من الهجرة ، ومع ذلك فلا يتركونها . وإذا تركوها فلبعض الوقت ثم يعودون إليها آسفين على تركها ؟!

مع أن الدنيا واسعة وخيراتها كثيرة . وإن بلادا كثيرة فى الدنيا أفضل من مصر وأكثر تطورا . فلماذا ؟

لأسباب أخرى يا ابن مماته . . من بين هذه الأسباب أن المصريين بتكوينهم مرتبطون بتراب مصر . يفضلون أن ينكسوه أو يبتلعوه على أن يذهبوا إلى بلاد أخرى تبتلع السكر والذهب . .

ومن بينها أن المصرى يرضى« بالقليل من كل شىء . . ولا يحب أن يتعب ويجاهد ويكافح . وينطبق عليه قول الشاعر الذى ليس مصريا ، ولكن لابد أن يكون مصريا فى أعماقه . يقول الشاعر :

بلادى وإن جارت علىّ كريمة

وأهلى وإن ضنوا علىّ كرامٌ !

وكلامه معناه : أن بلاده كريمة عادلة حتى لو لم تعطه شيئا وظلمته . فهو يقبل الشح والهوان من بلاده . . وأهله وإن كانوا بخلاء فهم فى غاية الكرم . وهو كلام سخيف متخاذل . فبلادى إن ظلمتنى فهى ظالمة . بل إن ظلم بلادى أقسى من ظلم أى بلد آخر . . وأهلى إذا بخلوا فهم بخلاء وبخل الأهل أشد مرارة من

بخل الأجانب . . ويجب أن نرفض البخل من أى أحد ، والظلم من أى إنسان . .

والذين لا يهاجرون يرفضون الكفاح والعيش الأفضل . . ويرفضون أن تتسع بلادهم فتشمل بلادا أخرى . . إن الطيور والحيوانات ترفض الضرر وترفض الجوع . وتهاجر من مكان إلى مكان . . إن الأسماك تهاجر من شرق المحيط الأطلسى إلى الأنهار غرب المحيط . . وملحمة السردين أعظم دليل . . فالسردين يخاطر بحياته فى الأنهار المتدفقة . . ويقفز إلى أعاليها . . ويبيض فى نفس الأماكن التى باض فيها الأعوام السابقة من مئات السنين . ويضع البيض وتجىء الذكور وتلقح البيض . . ويموت السردين وتتولد الحياة من جديد . . إلى الأبد !

والحريرى يقول ناصحا الناس أن ينتقلوا من المكان الذى لا خير فيه إلى المكان الذى فيه خير :

نقل ركابك عن ربع ظمئت به

إلى الجانب الذى يهوى به المطر

ولولا هجرات الطيور والحيوانات وكثير من الشعوب من قارة إلى قارة لماتت الحياة . . وأمريكا التى هى كبرى الدول وأغناها وأقواها كلها من المهاجرين الأوروبين والآسيويين . . ولو لم يذهب إليها المهاجرون من خمسة قرون لبقيت أرضا للهنود الحمر . . وكذلك استراليا . .

وليس شابا من لا يغضب ويسخط من أجل حياة أفضل فى مكان أفضل . . ومهما تنقل المواطن المصرى من طبقة إلى طبقة ومن دولة إلى دولة فسوف يبقى مصريا دائما عينه وقلبه مع مصر !

مارلين مونرو دائماً!

لا نهاية لملف انتحار مارلين مونرو . . فكل يوم يضاف جديد لتوضيح هذه النهاية الحزينة لأجمل مخلوقات الله . فمارلين مونرو «١٩٢٦ - ١٩٦٢» كانت نموذجا للأنوثة والجمال والطيبة . وارتبطت بأقوى ما عرف الإنسان : رئيس أمريكا وفلوسه وأخيه النائب العام والمخابرات وعصابات المافيا . . كل هؤلاء الجبابرة تعاونوا للقضاء على هذا الإنسان الجميل الضعيف .

مارلين مونرو كانت طفلة مسكينة . . أمها مجنونة . . وهى ابنة غير شرعية . . تنقلت بين الملاجىء وبين مصورى الصحف وبين المنتجين عجينة بللورية يتقاذفها الذئاب والكلاب . ودفعتها سذاجتها أن تتزوج الكاتب اليهودى الشيوعى الذئب المتوحش المجرد من الإنسانية : ارثر ميللر . وماتت ضحية لكل هؤلاء .

وجاء كاتب يهودى مجرم سفاح هو هرمان مايلر يدافع عن الكاتب آرثر ميللر ويكاد يتهم مارلين مونرو بأنها هى التى كادت تحطم الكاتب الكبير . . لماذا ؟ إنها طيبة أكثر من اللزوم . . ساذجة أكثر من أن يتحملها أى إنسان . . مع أنها لم تقتل كيندى ولا أخاه ، وأن زوجها الكاتب الكبير لا يزال حيا ؟!

ظهرت كتب كثيرة تحاول حل لغز انتحار مارلين مونرو . . وظهر أخيرا فيلم عن اغتيال كيندى . . كل الوثائق تتفق على أن الرئيس كيندى قد قتلته المخابرات الأمريكية . والمخابرات هى التى دفعت عصابات المافيا لاغتيال مارلين مونرو . . رجال العصابات هم الذين اعترفوا بذلك .

وقالوا إن اغتيالها تم لأسباب كثيرة فالرئيس كيندى كان يتحدث إليها فى كل أسرار الدولة . وهى كفتاة جميلة ساذجة كانت تتحدث إلى زميلاتها عن الذى يقوله الرئيس . . ومن بين الذى قالته مارلين مونرو أن الرئيس كيندى يفكر فى اغتيال الرئيس كاسترو . وكانت المخابرات الأمريكية قد اتفقت مع عصابات المافيا على اغتيال كيندى . فتخلصت المخابرات من «م . م» ومن حبيبها الرئيس كيندى . هى أولا والرئيس من بعدها . . وبعد ذلك بخمس سنوات اغتيل بوب كيندى !

وظل الرئيس كيندى يتهرب من مارلين مونرو . . وكان قد أعطاها أرقام تليفوناته الخاصة . وفجأة وجدت «م . م» أن الرئيس لم يعد فى متناولها فساءت حالتها النفسية . . ولما أسلمها الرئيس إلى أخيه بوب كيندى ، تضايقت «م . م» وأحست أنها كرة يتقاذفها أخوان . . وأنها لا شىء . فأدمنت الحبوب المنومة . . أما الحبوب التى كانت تتعاطاها فهى من صنع المافيا . . إنها حبوب قاتلة بالتدريج . وعندما ساءت حالتها جاءها طبيب المافيا . . دخل شقتها من النافذة وأعطاها حقنة مميتة . ولم تترك الحقنة أى أثر فى دمها . . حتى لو تركت ، فما الذى يمكن عمله . ولكنهم

من باب الاحتياط الشديد اختاروا لها حقنة بها مادة سامة لا تظهر فى الدم !

وقد شهدت المحاكم الأمريكية رجال المافيا وهم يتحدثون ضد الرئيس وأخيه . . وضد المخابرات أيضا . وأن المخابرات هى التى قتلت الجميع .

وبسبب هذه القسوة الإجرامية فى معاملة إنسانة مسكينة فإن عطف الناس لن ينتهى واحتقار الناس لآل كيندى لن ينتهى أيضا . وفزع الناس من المخابرات الأمريكية والعصابات المنظمة التى تحكم أمريكا . كل ذلك يجعل الناس يجددون العطف والأسى كلما تذكروا مارلين مونرو ويجددون الاحتقار والسخط على آل كيندى والأجهزة الإجرامية التى تحكم أمريكا والعالم كله . .

وعلى الرغم من أن الجميع لا قلب لهم ولا إنسانية عندهم ، فإن واحدا من رجال المافيا قد اعترف أخيرا بأنه على يقين من أن مالقيه الرئيس كيندى أقل بكثير جدا مما يستحقه هو وأخوه بسبب تعذيب هذه الفتاة المسكينة الوحيدة : مارلين مونرو !

بوكاسا: مفترسًا!

الشاعر القديم يقول :

إذا كان رب البيت للدف ضاربا

فلا تلم الصبيان فيه على الرقص

أو

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا

فشيمة أهل البيت كلهم الرقص!

فإذا كان رئيس الدولة فاسدا أو منحلا فإنه يشجع الآخرين فتكون الدولة كلها فاسدة فالناس لا يحاسبونه على فساده ، لأنهم مثله . . أو هو لا يحاسبهم على فسادهم ، لأنه مثلهم تماما !

رئيس جمهورية بنما «نورييجا» يتاجر فى المخدرات ويحاكم على تهريب السموم إلى أمريكا . . واتخذ الرئيس الأمريكى قرارا حاسما بأن أنزل قوات إلى بنما واعتقلت الرئيس «نورييجا» ليحاكم بالسجن ١٤٥ عاما ويدفع غرامة مليونا !

والرئيس «بوكاسا» كان يأكل الأطفال الصغار . .

وستالين ذبح عشرين مليونا من أبناء وطنه .

وهتلر ذبح وأحرق وقتل خمسين مليونا فى الحرب العالمية الثانية . . وكان نباتيا لا يأكل اللحوم ، اكتفاء بما تفعله القوات الألمانية فى كل مكان .

والإمبراطور الرومانى كاليجولا كان يقتل بطرق منتظمة . مثلا يأتى بالشعراء ويطلب إليهم أن يقف الواحد على ساق واحدة فإذا اهتز قتلوه . . أو يأتى بالشعراء ويطلب إليهم أن يتنافسوا فى النظم من بحر واحد وقافية يحددها . والذى لا يسعفه الإرتجال يلقى به من أعلى الجبل - وليس مخطئا تماما كاليجولا ، فبعض الشعراء الذين تغنوا بصدام حسين وقالوا إنه نسل النبى وأنه نصف إله يستحقون الغرق والحرق وأن يكونوا طعاما للكلاب !

أما الرئيس الفرنسى ميتران فقد كان رجلا متحضرا ولكنه كرئيس صريح . . قال فى مذكراته التى صدرت أخيرا إنه كان يصاب بحالة توتر أثناء انعقاد مجلس الوزراء والسبب وجود عدد من الوزيرات الأنيقات !

ولكن الرئيس الفرنسى ميتران أتى بصديقة عزيزة قديمة وجعلها رئيسة لوزراء فرنسا إنها السيدة «أديس كريسون» . ولم يفتح أحد فمه بكلمة . فكلهم فرنسيون . ثم إنها سيدة ذكية بارعة ، وهو الرئيس صاحب القرار ومن حقه أن يحب وأن يرى من يحب وعلى عينك يا تاجر !

أما رئيس جمهورية ألمانيا الشرقية «هونيكر» ففيه كل العيوب التى نصت عليها كتب الأخلاق والدين . . فهو ذئب عجوز . . ولم يكن لديه مانع أن يدفع غيره إلى الفسق ، حتى يتوارى وراء ذلك . . ثم إنه لص . . وأخيرا سفاح فقد أصدر أمرا بإطلاق النار

على مواطنيه . إذا هم هاولوا الهرب إلى ألمانيا الغربية . . فقد قتل المئات من الهاربين . وقد اعترف كثير من رجال الأمن والمخابرات والإرهاب عن جرائم الرئيس «هونيكر» وعن سلطات عشيقاته ومندوبيه الذين هربوا أموالا له ولأولاده وأقاربه إلى سويسرا وأمريكا ، وقد طالبت حكومة ألمانيا الغربية بضرورة تسليمه وقد وافق الاتحاد السوفيتى وكان قد هرب مريضا إلى روسيا عندما اتحدت ألمانيا الشرقية والغربية .

ومن أبشع أعمال الرئيس «هونيكر» إقامة معسكرات لتدريب الإرهابيين فى العالم كله - وضد الدول العربية . وكان يتعاطى مكافأة على ذلك حتى أصبح مساعدوه من أصحاب الملايين التى صادرتها حكومة ألمانيا الغربية !

إن سكان القمم يحقدون على سكان السفح يحسدونهم على حريتهم ولذلك كان آلهة الإغريق ينزلون من القمم ويرتدون ملابس البشر وينافسونهم فى العشق والفجور والحرب . . وقد سار على القاعدة الشريرة كل الطغاة فى كل العصور . وقد توهموا أنهم أسمى وأعلى وأبعد عن متناول البشر !

مخابرات ألمانيا

لم يعرف التاريخ جهاز أكثر وحشية من جهاز مخابرات ألمانيا الشرقية المعروف باسم (اشتاسى) .. هذا الجهاز هو الذى تولى تدريب كوادر كل عمليات الإرهاب العالمية .

وفى ألمانيا الشرقية وبمساعدة الاتحاد السوفييتى كانت تحدث كل أعمال الدمار والإفساد السياسى والأخلاقى فى العالم .. فالاتحاد السوفييتى هو القاعدة الكبرى للثورات والانقلابات فى كل دول العالم الثالث .. فكل الجرائم الدولية ارتكبها الشيوعيون فى روسيا وفى العالم من أوله لآخره .. وبانضمام ألمانيا الشرقية إلى ألمانيا الغربية وانهيار الاتحاد السوفييتى فقد الإرهابيون والانتهازيون ولصوص الشعوب أكبر قاعدة لهم . وبانهيار الاتحاد السوفييتى ، تلاشت الحرب الباردة والسباق النووى . وتوافرت لأمريكا مئات ألوف الملايين من الدولارات كانت تستخدمها فى مواجهة الروس فى أوروبا الشرقية وفى دول العالم الثالث !

وقد كشفت ألمانيا الموحدة عن فضائح ووحشية جهاز اشتاسى . وعرضت على الشعب الألمانى كيف كانت الدولة تتجسس عليه .. وكيف كانت تعذب كل من ينادى بالحرية والديمقراطية ..

وكيف كانت تستخدم الابن يتجسس على أبيه والأب على ابنه . . وأفراد المجتمع كلهم ضد أنفسهم .

ومن أبشع القصص ما نشرته الصحف الألمانية عن رجل وزوجته . . الزوجة لها نشاط سياسى معاد للدولة . . أى معاد للشيوعية . ولم تجد المخابرات من يتجسس على الزوجة أحسن من زوجها . أما زوجها الذى تحبه والذى أنجبت منه ولدا فقد كان ينقل للمخابرات كل حركاتها وكل ما تقوله وكل الذين تقابلهم وصورا لكل ذلك . . وعندما عرضت ألمانيا كل الدوسيهات . قدمت للزوجة ثلاثين كراسة كل واحدة من مائة صفحة عن حياتها وبقلم زوجها . ولم تصدق السيدة أول الأمر . . فزوجها كان لطيفا متفانيا فى تربية أولادهما . . محبا لها . ولما رأت الملفات رفضت أن تصدق كلمة واحدة ، وإن كانت فى غاية الدهشة للتفاصيل الدقيقة عن حياتها . . وللحوار الذى كان يدور بينها وبين زوجها - كل ذلك مكتوب وبمنتهى الدقة .

ونشرت الصحف الألمانية مأساة هذه السيدة أكثر من ذلك إن هذه السيدة قد استدعت محاميا للدفاع عنها ضد اتهامها بالعمل ضد الحزب الشيوعى والدولة . وفوجئت بأن المحامى أيضا عضو فى المخابرات التى تنشر حولها العيون والآذان . ثم أدخلوها السجن . وبعد ذلك قرروا طردها من البلاد فاختارت أن تهاجر إلى إيطاليا . وسألت زوجها . فأكد لها فى هدوء قاتل أن كل ما يقال عنه صحيح . وانهارت الزوجة . وأخرجت ما فى احشائها . . وراحت تصرخ وتصرخ ولا تريد أن يعرف طفلاها شيئا عن حقارة الأب وانحطاط الدولة .

وقد أعلنت السيدة أنها كانت تفضل أن يفعل زوجها كل شيء - فهذا ضعف إنساني . ولكن أن يخونها لحساب الدولة .. أن يهدم حياتها ومثلها العليا ويضع في الطين كل ما كانت تضعه على رأسها وعلى صدرها وتباهي به الناس جميعا .. تباهي الناس أن زوجها مخلص وأنه رفض العمل حتى يتفرغ لتربية طفليهما عندما كانت الأم تدخل السجن .

وبلغت به الوقاحة أنه عند سقوط حائط برلين كان أول من هنأها .. ثم إنه كان يزورها من حين إلى حين ، حتى طلبت إليه ألا يجيء وأنه لابد من الطلاق .. وإلا فضحته واحتقرته أمام ولديه !

شيء فظيع .

وداع الإمبراطور!

شهدت العاصمة الفرنسية فى أكثر من الحزن والأسى والإعجاب نهاية حكم الامبراطور ايف سان لوران الذى حكم الذوق العام فى الدنيا ثلاثين سنة .. كان عليه أن يقدم فى كل سنة ست مجموعات من الأزياء والخطوط والألوان يتفوق فيها على نفسه وعلى الآخرين .

ومن المؤكد أن مصمم الأزياء الفرنسى هو عبقرى النصف الثانى من القرن العشرين . ولكن لمعان الامبراطور بدأ يخبو بالتدريج ولم يعد يساير الخطوط الجديدة التى ابتدعها امبراطوران آخران هما : كارل لى لاجيرفيلد وجاى فرساتشى .

ولا أحد ينسى للامبراطور ايف سان لوران ما قدمه للأناقة فى الدنيا .

وقد أقامت له باريس حفلا توديعيا فى «أوبرا الباستيل» .. فقدمت عارضات الأزياء – حين يمشين مشية القطة – أجمل ما أبدع ايف سان لوران فى ثلاثين عاما . وكان منظرا مؤثرا جعل الدموع تنهال على الخدود التى اختار لها الامبراطور ألوانها ودرجاتها اللونية .

لقد بكت عيون كثيرة وتنهدت صدور كثيرة . . وكان ذلك إعلانا بأفول نجم الامبراطور !

شيء واحد يستحق الملاحظة : هذه المرأة . . أو المرأة فى كل مكان .

فمن المؤكد أن المرأة ليس عندها ذوق . . وإنما هى تلبس ما يقترحه الامبراطور من غير أى تفكير . . فالألوان المتنافرة لا تفكر فيها . وإنما هو أمر وهى أطاعت !

والمرأة تلبس ما يناسبها طولا وعرضا ، وإنما ما قدمه الامبراطور . .

والمرأة لا تحب الحرية . . وإنما تحب الطاعة والخضوع . . فالإمبراطور اختار لها . وهى لا تفكر فى أى شىء إلا أن تطيع . . وتخرب بيت زوجها من أجل السعادة فى طاعته . .

هات أعظم واحدة واجعلها تتزوج الرجل الذى تحبه وتفاجأ بأن الرجل الذى تحبه يكره اللون الأحمر . . فإنها فورا لا ترتدى الأحمر من أجل إرضائه . ولا تتمسك إلا بما يتمسك به هو .

والمرأة لا تعرف قيمة الأشياء . . وإنما تعرف سعرها فقط .

فإذا كان أمامها فستانان واحد بألف وجميل ومتسق الألوان والخطوط والأطوال ، فإنها تفضل عليه الفستان الذى ثمنه ألفان حتى ولو لم يكن مناسبا - لمجرد أنه أغلى . وهى ترى الأغلى لأنه أغلى هو الأفضل . . وأن الأرخص لأنه أرخص هو الأسوأ !

ولا تصدق أن المرأة تموت من أجل الحرية . . إنها مستعدة أن

تنزل عن حريتها كاملة للرجل الذى تحبه .. وترى ان الحرية خيانة لها ..

انظر إلى أكثر النساء ثقافة وتعلما وشجاعة وأنت ترى أن كل هذه الصفات تسقط فورا عند ثلاثة من الناس : رجل تحبه أو امبراطور الأناقة أو الحلاق أو قارئة الفنجان . وفرق بين أعظم سيدة وبين خادمها !

والحفلة التى أقامتها محلات فرنسا ودور أزيائها لتوديع الامبراطور ايف - سان لوران الذى أرهقه العمل والتدخين ، انتهت بأن أطبق الامبراطور عينيه حتى لا يرى النساء اللاتى ادعين الإخلاص والوفاء له ، وقد ارتدين فساتين من تصميم الأباطرة الجدد المنافسين .

كمان زمان !

كانت لنا - من ملايين السنين - قدرة على أن نرى مثل الحيوانات وأن نسمع أيضا وأن نشم .

ولكن بمرور الوقت لم نعد فى حاجة إلى هذه الحواس المرهفة . . فلم نعد نخاف من الوحوش ، ولذلك كنا فى حاجة إلى أن نسمعها من بعيد وأن نراها وأن نسمعها . ومنذ أقمنا البيوت وجعلنا للبيوت أبوابا ضعف مجال السمع والشم أيضا . وبمرور الوقت لم نعد نستخدم هذه الأعضاء : العين والأذن والأنف والساقين والذراعين ، ولذلك ضعفت فالقاعدة هى : أن العضو إذا ضعفت وظيفته ضعف . . ولذلك بقيت الحيوانات حادة البصر والسمع والشم لأنها ما تزال فى حاجة إليها . .

ولكن بعض الناس ظلت عندهم هذه القدرات الخارقة - أى القدرات التى كانت لنا ، وما تزال عند الحيوان . . فهناك أناس يرون عن بعد ويسمعون عن بعد . . فالعرب عندهم زرقاء اليمامة ، التى كانت ترى الناس على بعد مئات الكيلو مترات . . وعمر بن الخطاب الذى كان يخطب الناس عندما كان رأى قائدا عربيا يوشك الأعداء أن يحاصروه فناداه وقال له أن يتحصن

بالجبل . . فعمر بن الخطاب رأى القائد عن بعد والقائد سمع الخليفة عن بعد .

وبعض الناس عندهم هذه القدرة ، وهذه القدرة تظهر أحيانا ، وليس كل الوقت . وفى حياتنا العادية حوادث كثيرة من هذا النوع . . فالأم تكون غارقة فى النوم ثم تصحو فجأة إنها سمعت طفلها الصغير يوشك أن يقع من السرير . . والطفل فى غرفة بعيدة عنها . وعندما تذهب إليه فإنها تنقذه فى آخر لحظة !

وكثيرا تشكو الأم من وجع فى أسنانها وتنهض من الألم عند منتصف الليل . وتذهب إلى الطبيب فى اليوم التالى فلا يجد الطبيب أى سبرر للألم . . وفى اليوم التالى يجىء إليها خطاب من ابنها فى أمريكا يقول فيه إنه ذهب إلى الطبيب فخلع له ضرسا مسوسا ويكون ذلك فى نفس اللحظة التى شكت فيها الأم من وجع فى أسنانها !

ويحدث أيضا أن تمد يدك إلى التليفون تطلب صديقا فتجده هو على الخط . فأنت وهو قد فكرتما فى نفس الوقت فى نفس الشىء !

وفى أمريكا الآن طفل «١٤سنة» اسمه أورين . هذا الطفل عنده قدرة خارقة على أن يرى عن بعد وأن يقرأ عن بعد . . فأبوه يجمع من الجمهور بطاقات شخصية . . ويقف بعيدا عن ابنه المعصوب العينين . والابن يقرأ كل ما جاء فى هذه البطاقات . . ويكشف أيضا عن رقم التليفون الذى تطلبه فى أى وقت . . ويصف شكل المتحدث ولون عينيه وملابسه . . ويقرأ الأوراق التى في جيبه . . والمسافات بينه وبين المتحدث مئات الكيلومترات . .

وقد بدأت حكاية هذا الطفل أورين عندما كان فى السادسة

من عمره يشكو من صداع دائم . . وذهب به أبوه إلى الأطباء . فأكدوا له أن الطفل فى تمام الصحة والعافية . . وفجأة لاحظ التلميذ وهو يمتحن أن لديه القدرة على أن يقرأ كل الإجابات فى جميع أوراق زملائه مهما كانوا بعيدين عنه . .

وفى إحدى المرات ذهب الطفل إلى ناظر المدرسة يقول له : إنه لا يستحق النجاح .

وهنا عرفت المدرسة القدرة الخارقة عند الطفل . . ومن يومها وهو يظهر على المسارح وفى الحفلات يبيع هذه الموهبة الفريدة . ولكن لماذا هذا الطفل دون ألوف ملايين الأطفال ؟ لا إجابة . لأنه لا يوجد سبب معروف عندنا لأن يكون إنسان عبقريا ، وواحد آخر غبيا !

ألمانيا الأقوى!

الدنيا تغيرت جدا ..

فالدول التى كانت تعيش فى أمان ورخاء تحت المظلة الأمريكية النووية تهدد أمريكا نفسها .. وتحاول أمريكا أن تكسب صداقتها وتجنب منافستها : ألمانيا واليابان .

فألمانيا الآن قوة اقتصادية جبارة ، وقد استطاعت ألمانيا أن تحتضن نصفها الآخر فى ألمانيا الشرقي وكل الألمان فى بولندا وفى يوغوسلافيا وفى روسيا .. وأن تدفع للاتحاد السوفييتى سابقا الوف الملايين ثمنا للوحدة ، وأن تبنى لقوات الاحتلال الروسى بيوتا لإيوائهم عند عودتهم إلى بلادهم .

وألمانيا الجبارة الآن أصبح لها نفوذ سياسى متواز مع قدرتها الجبارة على الإنتاج والتسويق والمنافسة ، وألمانيا الآن تساعد الدول الأوروبية كلها على أن تقفز إلى الأمام ، وأن تشترك معا فى منافسة أمريكا واليابان .

وألمانيا تريد أن يكون لها صوت فى مجلس الأمن والبنك الدولى ، وهذا حقها ، ولكن العالم كله يخاف من ألمانيا ، وألمانيا تكره ماضيها .. ولا تحب أن يذكرها أحد بما فعلت أيام هتلر ، وإن

كان الألمان قد ضاقوا بهذه السيرة ، ولكنهم لا يشاركون الغرب والأمريكان فى احتقار هتلر وما فعله من مذابح ، وإنما هم يرونه عبقريا . . فى السياسة والحرب والاقتصاد . . وأنه لا يمكن أن يكون إنسانا مجنونا لمجرد أنه فشل فى محاربة أوروبا وأمريكا معا . . وهم لا يجاهرون بعظمة هتلر ، ولكنهم مؤمنون بأنه عظيم جدا كما أن ألمانيا عظيمة جدا جدا !

والسياسة الخارجية لألمانيا قد أحرجت كل وزراء خارجية أوروبا وأمريكا ، فألمانيا فرضت على المجتمع الدولى كله الاعتراف باستقلال كرواتيا وسلوفينيا . . وهددت ألمانيا فى أول الأمر دول المجموعة الأوروبية بأنها إذا لم تعترف بالدولتين الجديدتين فسوف تعترف بهما ألمانيا وحدها . . والسبب فى ذلك هو أن أبناء هاتين الدولتين يعيشون فى ألمانيا ولهم نفوذ سياسى انتخابى ، ثم إن عددا من الألمان يعيشون هناك ، وإن علاقة يوغوسلافيا القديمة بألمانيا كانت دائما سيئة جدا فى أيام تيتو وبعده .

وفى نفس الوقت يرى الأمريكان أن انتعاش ألمانيا يؤدى إلى انتعاش أمريكا . . فكثير من السلع الأمريكية تباع فى ألمانيا . . كما أن هناك شركات كبرى أمريكية تباع فى ألمانيا . . كما أن هناك شركات كبرى أمريكية لها وجود فى ألمانيا . . مثل جنرال موتورز وأى . بى . ام . . وعشرات من الشركات الصغيرة كلها تعمل بالمشاركة مع الألمان وكلها ناجحة ، وقد اكتسبت هذه الشركات قوتها بسبب الدور الألمانى . . والذى حصل عليه الأمريكان فى ألمانيا لم يحصلوا على واحد على ألف منه فى اليابان . . فلا تزال اليابان تمشى بعبقريتها فى اتجاه واحد : نحو

العالم الخارجى كله ، دون أن يتجه العالم الخارجى إلى داخل اليابان . . إن اليابان مشكلة أمريكية كبرى ، فاليابان لا تزال تهدد كل الصناعات الأمريكية وفى مقدمتها السيارات والالكترونيات والعدسات وغدا الطائرات وسفن الفضاء كما تهدد ألمانيا فى صناعة الآلات الموسيقية والسيارات والالكترونيات أيضا . . وتهدد فرنسا فى صناعة أدوات التجميل التى أدخلت فيها الأعشاب وعسل النحل والهرمونات . .

فألمانيا هنا أفضل إنها تكسب وتدفع غيرها إلى الكسب وإلى المنافسة أيضا ، وقد طرحت ألمانيا على الدول الأوروبية والأمريكية أن تكف عن إنتاج الأفلام التى تهين ألمانيا ولا تعيرها بماضيها الدموى .

وفى عالم الرياضة أثبت أبناء ألمانيا (الشرقية) أنهم لا يزالون فى مقدمة الفائزين فى كل نشاط الانزلاق على الجليد . . وفى الدورة الأوليمبية سوف نرى العجب العجاب . . سوف نرى ألمانيا الرياضية الجبارة أيضا !

انتخابات أمريكا

(١)

أمريكا تدعى أنها جادة فى إسقاط صدام حسين ، فمدير المخابرات السيد جيتس قد جاء إلى المنطقة يعرض خطة أمريكا السرية فى إسقاط صدام حسين . وكان الرئيس بوش قد أعلن فى ١٦يناير الماضى أنه يحيى ألوف الرجال الشجعان فى العراق وخارجها ، وهم الذين يعملون ليلا ونهارا على إسقاط صدام حسين . .

وأمريكا تحاول أن تحقق هدفين فى وقت واحد : التضييق المستمر على صدام حسين ثم الضغط على مجلس الأمن ليفرض عقوبات جديدة .

وقد كشفت المخابرات السعودية عن نشاط مستمر فى جنوب العراق . . وتتولى أجهزة المخابرات الأمريكية فى الخليج رصد كل حركات القوات العراقية . وقد نقلت سفن التجسس الأمريكية أن هناك تدريبات عسكرية وأن هناك تغييرا مستمرا لمواقع الصواريخ الموجهة إلي السعودية . .

وفى نوفمبر الماضى بعث الرئيس الأمريكى بوش إلى خادم

الحرمين الملك فهد يطلعه على استعدادات أمريكا فى الخليج . . فلا يزال عندها ١٦ ألف جندى من مشاة البحرية فوق ٢٥ سفينة حربية ولديها أربعة آلاف من القوات البرية ثم إن لديها ٢٠٠ طائرة جاهزة للضرب فى أى وقت .

وقد تأكد لدى أمريكا الآن أن صدام حسين قد رفض أن يتعاون مع الأمم المتحدة فى تخفيض بيع البترول ورفض أن يعاونها فى معرفة أماكن المصانع الحربية . . وقد جاءت معلومات من داخل العراق تقول : إن التدريب على استخدام الأسلحة الكيماوية مع الاستعانة بخبراء أجانب لا يزال مستمرا . .

ويرى الرئيس الأمريكى أن بقاء صدام فى الحكم خطر على حملته الانتخابية . . فمعنى ذلك أنه انتصر على صدام إلا قليلا . . وأن الوضع فى الخليج لم ينته . . ومما قاله مدير المخابرات الأمريكية للرئيس مبارك والملك فهد أن الموقف فى العراق لا يحتمل التأجيل وأن أمريكا تخطط فعلا لضرب المصانع الحربية والقضاء عليها نهائيا مما يجعل وجود صدام حسين مستحيلا . .

وكان صدام حسين يعتمد فى أعماله الإرهابية الموجهة إلى أمريكا على ألمانيا الشرقية والفلسطينيين كما أن أجهزة المخابرات الأجنبية لم تعد تساعد العراق . . والعراق معزول تماما .

ومن المعلومات التى سربتها المخابرات الأمريكية إلى الصحف أن هناك احتمالا لاشتعال الحروب الإقليمية فى العالم . . وأن هذه الحروب تهدد السلام العالمى وتؤجل تنفيذ «خطة النظام العالمى الجديد» . . وأن أمريكا على استعداد تام لخوض هذه الحروب وحسمها لصالح السلام العالمى . . فأمريكا كانت

تتشكك دائما فى نيات الرئيس جورباتشوف . . وترى أنه شيوعى مائة فى المائة . . وأنه بذكاء ودهاء يريد من أمريكا أن تساعده على أن يظل فى موقعه . . وأن تساعده على نهضة روسيا بلا أعباء اقتصادية أو سياسية . . ولذلك أمريكا اتجهت إلى يلتسين هو الرئيس . . والروس يطالبون بإسقاطه لأنه مثل يهوذا الذى خان السيد المسيح وقدمه للرومان مقابل مبلغ تافه . . ولذلك فعل يلتسين الذى خان جورباتشوف مقابل بضعة ملايين من الدولارات !

إن الموقف الآن خطير جدا بين بوش صدام فبوش فى بداية حملته الانتخابية يرى أن صدام المنهار الساقط خطر على نجاحه فى الانتخابات القادمة . . ولذلك لابد من الإجهاز عليه وبموافقة كل الحلفاء فى الشرق الأوسط أولا وفى العالم كله ثانيا !

(٢)

المعركة الانتخابية فى أمريكا بدأت بداية قذرة . . فالمرشح الديمقراطى كلينتون اتهموه بخيانة زوجته وظهرت مطربة كباريه تقول وتصف وتكيل وتبكى . . والصحفية التى نشرت هذه الفضيحة هى التى دفعت للفتاة مائة ألف دولار . . لتنسف هذا المرشح . . وخاصة أن الحزب الديمقراطى الذى ينسب له فضائح سابقة . والمعنى : أن الحزب الديمقراطى ليس هو الحزب الذى يحمى القيم الأخلاقية ويتمسك بها . . وهذا يهز صورة المرشح أمام الناخبات وأمام رجال الدين .

والمواطن الأمريكى لا يغفر للخائن .

ولا يغفر لمن يتهمونه بالتهرب من الضرائب . . أو التهرب من الخدمة العسكرية ، فأية تهمة من هذه التهم إذا ثبتت على المرشح فإنه يسقط حتما .

استطاع المرشح الديمقراطى أن يفلت من تهمة الخيانة الزوجية وقد ساعدته زوجته كثيرا على البراءة . . فأعلنت وهى محامية بارعة أن خلافات كثيرة وقعت بينها وبين زوجها . . مثل كل الناس ولكن هذه الخلافات لم تدفعه أن يخونها . . وذكرت أن أول خلاف بينهما كان على تغيير اسمها لتحمل اسم زوجها ، فرفضت لأنها محامية ناجحة وأن نجاحها قد تأكد باسمها الذى كان لها قبل الزواج ، وقد أعجبت بها النساء اللاتى يرفضن سيطرة الزوج على المرأة والانتقاص من حريتها واستقلالها .

وفجأة ظهرت مشكلة أخرى للمرشح الديمقراطى كلينتون فقد بعث وعمرة ٢٣ سنة ، إلى إدارة التجنيد الاحتياطى إنه لا يريد أن يشترك فى حرب فيتنام والتى يرى أنها حرب غير أخلاقية وإن زج بمئات الألوف فى هذه الحرب . . وقد أسفرت هذه الحرب عن مقتل سبعين ألف جندى أمريكى . . ثم إن أمريكا لم تنتصر فى هذه الحرب .

أما أنصاره فيقولون إن هذا دليل على شجاعته وصلابته وهو شاب صغير وإن هذه هى البداية المؤكدة لسياسى قدير ورئيس أمريكى عظيم .

أما خصومة فيرون فى ذلك هروبا من الخدمة العسكرية ، وأن هذه التهمة خطيرة عند أهل ولاية (نيوهامشير) التى سوف يلتقى فيها جميع المرشحين للرياسة بما فيهم بوش ليواجهوا الجماهير ويطلعوهم على مشاريعهم للمستقبل .

ومثل هذه التهمة هى التى وجهوها قبل ذلك للسيد كويل نائب رئيس الجمهورية الحالى والذى اتهموه بأنه هرب من الجندية وسعى إلى أن يبقى فى الحرس الوطنى بأمريكا بدلا من فيتنام ، وإنما الحرس الوطنى هو الذى اختار له البقاء فى أمريكا . . وأن كويل رجل ذكى وفى غاية الكفاءة . . وأن بوش اختاره ولا يزال يؤيده لأنه أقدر المرشحين للرياسة من بعده وأنه مقتنع به تماما .

ويحاول مستشارو كلينتون أن يتفادوا المشاكل الشخصية وأن يدفعوه إلى الكلام على القضايا الأخرى : مثل الأوضاع الاقتصادية والبطالة والمنافسة مع اليابان ومع أوروبا . . وأن يدلى برأيه فى قضايا التعليم . . وهو البرنامج الخطير الذى يريد الرئيس

بوش أن يتناوله وأن يدخل التاريخ لا على أنه بطل الحرب والسلام في العـالم ، ولكن على أنه أول من أصلح التـربيـة والتـعليم فى أمريكا .

ولا أحـد يعـرف الآن مـا الذى سـوف تسـفـر عنه الانتـخـابات الرديئـة فى أمـريكا .. هل تبـدأ بنهـاية صـدام حـسين وسـقـوط يلتسين أو بأى شىء آخر !

هذه اللحوم!

والله إننى أتعـذب على مـوائد السـعـوديين . . فـالأكل كله مصنوع من اللحم . . لا شىء يخلو من اللحم . . لا الشوربة ولا الأرز ولا حتى الماء . . وأخشى أن تكون الحلويات أيضا . . فرائحة اللحم قوية ونفاذة وهى تدخل من أنفى وتحدث إنقلابا فى معدتى والله ما أحببت طعم اللحم فى حياتى .

إنها مشكلة لى ولأصحاب الدعوة . فى« إحدى المرات تناولت العشاء مع أمير المدينة الأمير عبد المجيد . وهو شاب لطيف وككل الأمراء مهذب ومجامل ورقيق فى معاملته . وكنت أجلس إلى جوار الأمير على المائدة الرئيسية ولاحظ أننى لا آكل . . أما السبب فهو أننى لا آكل اللحم . وكانت مشكلة .

والمطلوب هو أن يجدوا لى خبزا وجبنا أو يطير إنسان إلى البحر ويأتى لى بسمكة مقلية أو مشوية فى دقائق . . المطلوب عفريت كالذى أتى لسيدنا سليمان عليه السلام بعرش الملكة بلقيس .

وعلى مائدة الأمير عبد الله نظرت أمامى وخلفى أطلب قطعا من الجبن . واتجه أناس إلى جهات مختلفة . وانتظرت . وظللت آكل الخبز والسلطة وامتدت يدى إلى الفاكهة وقام الأمير ومن ورائه مـئات المدعوين . على أمل أن أجد الجبن فى الفندق .

ووجدت كمية كبيرة من الجبن والخبز مهداة من الأمير بدر بن عبد العزيز .

وقررت أن أتناول الغداء أو العشاء قبل حضور الولائم وبذلك لا أرهق أحدا . وذهبت إلى المطعم فى الفندق وتناولت كل أنواع الجبن والخبز والخضروات . عظيم . وشربت القهوة وقررت أن أجلس إلى جانب الأمير بدر أتحدث وأحكى حكايات وانشغل بالكلام وينشغل المدعوون بالطعام . . وفوجئت بكمية عظيمة من أنواع الجبن المختلفة . وكان لابدد أن آكل . فلم تعد لى حجة فى أن أتفرج على الجميع وأعمق لديهم الشعور بالذنب . كيف لم يأتوا لى بالجبنة وهى أسهل شىء ؟

وفى بيت أحد الأصدقاء السعوديين وجدت على المائدة ، لحم الخراف ولحم الدجاج . . ثم قطعا كبيرة من لحم الجمل . وقطعا كبيرة من لحم الغزال .

وقال صاحب الدعوة . . الآن تستطيع أن تأكل من اللحوم ما يعجبك !

فقلت : ولكنى لا آكل اللحوم .

وكان مقلبا من وزير عربى صديقى اتصل به من باريس للسلام والتحية وحذره من أن يضع أمامى أية خضروات أو أية أسماك وإنما لحوم فقط !

أذكر أن المشير السلال قد دعا وفد الأدباء إلى اليمن للعشاء - يوسف السباعى ونجيب محفوظ وصالح جودت ومحمود حسن إسماعيل وأنا . وقد علمت أن الطعام الرئيسى لحم من أوله لآخره . فما كان منى إلا أن طلبت إلى أحد الأصدقاء أن يربط

ذراعى اليمنى إلى عنقى . . ولما سألنى الرئيس السلال قلت له : لا أستطيع أن آكل بيدى . . فقال : نأتى لك بمن يطعمك !

وحسدنى نجيب محفوظ ويوسف السباعى وصالح جودت فقد وجدت حلا سريعا للامتناع عن الطعام كله !

ومرة دعانى الرئيس السادات إلى العشاء . وكان عشاؤه قطعا صغيرة من اللحم وقطعا صغيرة من الخبز وطبقا صغيرا من السلطة . فقلت للرئيس السادات : ياريس هل تسمح لى بأن أبكى !

فقال : لماذا ؟ آه من حقك أن تبكى . ولكن لماذا ؟

قلت : ياريس إننى أجلس إليك منذ سبع ساعات . . لا أكلت ولا شربت . . وعندما حان موعد العشاء لا أجد طعاما . سجن يا ريس ! فقال : الله . . يعنى الأكل مش عاجبك . . الكميات صغيرة؟ هاتوا له فرخة كاملة . . ياريس إننى لا آكل .

خلاص . . هاتوا جوز فراخ . . خلاص . .

مهرجان الجنادرية

كل سنة تقيم السعودية مهرجانها الثقافى والشعبى فى منطقة «الجنادرية» . . وعندها فلسفة : وهى أن المجتمع السعودى يقفز إلى الأمام وتخشى أن تنقطع الصلة بين ما يحدث اليوم وما كان يحدث بالأمس القريب والبعيد . فهى إذن تريد أن يتواصل القديم والجديد والسعوديون أكثر الشعوب العربية «عروبة»فهم فى أخلاقياتهم عرب . وفى بيوتهم وفى معاملاتهم . وتجد الواحد منهم قد تخرج فى أكبر جامعات أمريكا وأوروبا . . ولكنه فى كل سلوكياته عربى أصيل . . ولا خوف على هذا الجيل وإنما الخوف على الأجيال القادمة . التى تندهش لما كان يفعله أجدادهم من السفر على ظهور الإبل من العاصمة إلى مكة أو المدينة .

ثم إن مهرجان الجنادرية الذى يقيمه الحرس الوطنى برياسة ولى العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز له هدف أساسى هو ربط الأقاليم النائية من المملكة بالعاصمة والمجتمعات الحضرية فى السعودية . . وأكثر من ذلك ربط المثقفين فى العالم العربى كله بعضهم ببعض .

قلت لصديقى الأمير بدر بن عبد العزيز إن معظم الأدباء المصريين الذين التقيت بهم فى الرياض لم أرهم من سنوات . .

فالناقد المصرى د . عبد القادر القط . مثلا لم أره من ١٥ عاما عندما كنا معا فى موسكو . . والناقد المصرى أحمد عباس صالح لم أره من عشر سنوات عندما التقينا آخر مرة فى لندن . . والروائى السودانى الطيب صالح لم أره من ١٨ عاما . . والمفكر الإسلامى خالد محمد خالد لم أره من ثلاثين عاما . . وغيرهم كثيرون ، فلولا الجنادرية لظللنا متباعدين كأننا نعيش فى قارتين .

أما الأمير بدر بن عبد العزيز فلديه هذه القدرة الفائقة على جمع الأدباء والفنانين .

ويعجبنى فى مهرجان الجنادرية إحياء الموروثات الشعبية وفى الفنون . . ففى قرية الجنادرية توجد أماكن للصناعات فى جميع المناطق . والعمال يمارسون أعمالهم علنا . والناس الذين يتطلعون إلى السماء بعد أن دار أحد أبناء السعودية فى سفينة حول الأرض ، ينظرون إلى الأرض ويرون كيف كانت الحياة فى بلادهم قبل الطفرة الحضارية الأخيرة .

وقد شاهدت مع الأمير بدر بن عبد العزيز والفنان البارع صلاح السعدنى والناقد القديم حسن إمام عمر مزادا علنيا لبيع الإبل . . وكان السمسار يعلن سعر الجمل . . ونحن ندخل فى المزاد والرجل يعلن . . وظننا أن الحكاية هزار ولكن فوجئنا بأن الرجل قد باع لنا الجمل ويطالبنا بالثمن الحكاية جد ، وجاء الرجل بالجمل ودفعه فى سيارة الأمير بدر . وهو واقف فى الباب ينتظر الثمن والعمولة . . والرجل بدوى جاد جدا . ولا يعرف الهزار !

أما الذى يعجبنى أنا بصفة خاصة فالأغانى الشعبية . . صحيح أننى لا أفهم كلمة واحدة مما يقولون . . ولكن الصوت

واللحن والأداء والشجن الذى يلف الجميع فى منديل حرير له أطراف سوداء . فالأصوات لها دفء ولها وبر ناعم .

ثم جاء شاعر عربى شعبى هز الجماهير هزا . فالصوت قوى والأداء رجولى بدوى . . ولم أفهم كلمة واحدة مما يقول . ولكن الناس حولى يتمايلون طربا . . ولما جاء من يوزع علينا كتيبا صغيرا ظننت أنها الترجمة بالعربية للشعر النبطى . . ولكن كانت مفاجأة أمتع فقد وزع علينا أوبريت شعرية للشاعر الأمير الرومانسى بدر بن عبد المحسن بن عبد العزيز . . وهو شاعر متمكن ووطنى محبوب . . وكانت الأوبريت من غناء أحب المطربين لدى السعودية محمد عبده . طلال مداح . . الشعر قوى واللحن والغناء والمناسبة المتجددة لربط القديم بالحديث فى أجمل صورة !

أعصابك!

آخر كلام : الكولسترول هو سبب أوجاع القلب !

أسباب الكولسترول هى الدهنيات التى فى الطعام : فهذا الكولسترول يذوب على الأوعية الدموية – تماما كما يترسب الرمل والظلط على جدران مواسير المياه ويؤدى ذلك إلى نقص الماء .. وترسب الكولسترول على جدران الأوعية الدموية يجعلها أضيق .. ويجعلها جافة . . ولو كانت هذه الأوعية خالية من الكولسترول فإنها مع ضربات القلب تنتفخ . . تعلو وتهبط مع الدقات أى تتسع لدم أكثر وفى نفس الوقت يساعد على دفعه . . فإذا تصلبت الأوعية الدموية كان معنى ذلك أنها لا تدفع الدم إلى أعلى – إلى المخ مثلا . . ثم إن كمية الدم التى تدفعها تكون قليلة .

بعبارة أخرى : أنظر إلى الشوارع فإن حركة المرور تكون انسيابية إذا كانت السيارات لا تتوقف . . أما إذا توقفت السيارات على الجانبين . . فإن المسار ، أو المجرى الذى تتحرك فيه السيارات يكون ضيقا . وتكون حركة السيارات ابطأ والتصريف سوف يكون لأقل عدد ممكن من السيارات . . والأوعية الدموية مثل هذه الشوارع إذا توقفت وتجمدت جزيئات الكولسترول على الجانبين فإن الحركة تصبح أبطأ والتصريف أقل !

والكولسترول يوجد من الدهون .. والإسراف فى تعاطيها طبعا .

ومصدر آخر للكولسترول التوتر العصبى ..

فإن التوتر العصبى عند الإنسان يؤدى إلى تصنيع أو تخليق كولسترول فى الدم .

ولذلك نجلب الموت لأنفسنا باضطرابنا وقلقنا ، فإذا كان الواحد منا يتناول الدهنيات وعصبيا فى نفس الوقت ، فهو بالضبط الشخص الذى يصاب فى شرايين قلبه .. الشريان التاجى مثلا .. أو يصاب بجلطة المخ .

والخوف من الكولسترول قد أدى إلى نقص الإصابة بالذبحة والجلطة فى العالم كله .. فقد نقصت هذه الإصابة فى أمريكا بنسبة ٤٠٪ فى العشرين عاما الماضية .. واليابانيون قد نقصت الإصابة إلى ٧٠٪ والسبب هو الريجيم الخاص الذى يحرص عليه الناس فى هذه البلاد .

والذين لا يأكلون اللحوم هم أقل الناس تعرضا لكل إصابات القلب والمخ . ولذلك لا تجد هذه الإصابات عند الهنود . فأكثرهم نباتى .

ومن كل الأمراض التى سجلها العالم المصرى الكبير د . بول غليونجى لا نجد أن الفراعنة كانوا يسرفون فى تناول اللحوم .. بل إن بعض الملوك كانوا نباتيين .. وقد ماتوا فى سن متأخرة جدا .. وكان مرضهم هو الشيخوخة . فقد كانوا معتدلين فى طعامهم وشرابهم . وكانت أعصابهم أهدأ . وعلاقاتهم أكثر اعتدالا .

وقد حصل اثنان من العلماء الأمريكيين على جائزة نوبل

لأنهما اكتشفا أن الجسم الإنسانى لا يستورد الكولسترول فقط ، وإنما يصنعه أيضا . والجسم فى حاجة إلى الكولسترول طبعا يكسو الخلايا . ولكن الخطر هو أن تكون هذه الكسوة كثيفة . . وأن تكون أكثف على جدران الأوعية الدموية . العالمان الكبيران هما : يوسف جولدشنين ومايكل براون . وقد اكتشف العالمان الكبيران أيضا أن الكولسترول من الممكن أن يؤدى إلى السرطان أيضا .

ما هو المطلوب أن تعتدل فى الدهنيات وأن تكثر من الخضروات الطازجة وأن تأكلها بقشرها . . وأليافها . . وألا تأكل اللحوم السمينة . . وإن كان لابد من ذلك فليكن نصيبك منها قليلا . . والسمك أفضل .

وأهم من كل ذلك : أعصابك .

حاول أن تكون أهدأ . . وأن تفرمل غضبك وثورتك . . لأن الذى يثور ويغضب فإنه يعاقب نفسه . . فلو أن واحدا ضربك ألف قلم على خدك الأيمن والأيسر ، فإنه لن يضرك كما يضرك غضب الانفعال العنيف وأن يركبك عفريت لأتفه الأسباب !

الحضارة نفسها !

كانت حفلات أم كلثوم ذات طابع خاص . فقد كانت مناسبة للنشاط الاجتماعى . كل العائلات تلتف حول الراديو لتستمع .. والطائرات تنقل المعجبين من أنحاء العالم العربى ، ثم إن حفلاتها مناسبة لترتدى السيدات أشيك ما عندها من الملابس ، فحفلات أم كلثوم كانت مناسبة للأناقة والاستعراض .. فالحلاقون عندهم زحام شديد والخياطات أيضا . ولذلك كانت حفلات أم كلثوم مهرجانا للشياكة والفخامة والأبهة .

وفى نفس الوقت كانت دار الأوبرا القديمة .. فقد كانت العائلة المالكة والباشوات والأغنياء والأجانب يتبارون جميعا فى الكرنفال اليومى لمشاهدة الفرق العالمية فى الغناء والرقص .

ماتت أم كلثوم ، واحترقت دار الأوبرا . فاختفت كل المناسبات عظيمة الاحترام لظهور الإنسان المتحضر .. فهم أناس قد التفوا حول الفن الجميل وأحبوه ومن أجله جاءوا يتمتعون ويصرخون ويفرغون كل همومهم عند قدمى أمى كلثوم أو فى المقاعد الحمراء القطيفة فى دار الأوبرا !

وتعددت المسارح وتعددت معها كل أشكال الفوضى والزعيق الهيصة .. وباعه اللب والسودانى والساندوتش .. وتكسرت

المقاعد وانتشرت الروائح الكريهة لدورات المياه . وطالت ساعات السهر فى المسارح حتى الفجر - كل يوم!

وكل الذى كسبناه وتعلمناه فى الأوبرا وفى حفلات أم كلثوم . . راح . . راح . . أخذ عقلى وراح . . إلى غير عودة !

ثم أقمنا الأوبرا الجديدة التى بناها اليابانيون واشترطوا ألا يكون اسمها (اوبرا) لأن الدستور اليابانى يمنع الدولة أن تساعد فى بناء المسارح والكازينوهات . فقط أن تساعد فى بناء المعاهد والمدارس والجامعات والمعامل - أى دور التعليم والتربية الفنية او العلمية والدار أنيقة نظيفة والدخول والخروج فيها منظم وقد استأنفت القاهرة الاحترام لفن الفنانين . . وتحولت دار الأوبرا إلى مدرسة للذوق والأدب والاحترام والالتزام .

وأذكر أننى ذهبت إلى الفنان الكبير سليمان نجيب عندما كان مديرا للاوبرا القديمة استأذن فى أن أتفرج على إحدى الأوبرات ، فنظر إلى ملابسى ، فقلت له : سوف أغير القميص والبنطلون ببدلة .

كان يتكلم وبصراحة تصل إلى حد الشتيمة قال وعند حضرتك بدلة سموكنج .

فقلت : لا طبعا !

- أنا عارف . . يا عبد الرحمن !

وهو الشاعر المعروف عبد الرحمن صدقى . وكان وكيلا للأوبرا . . وطلب من عبد الرحمن صدقى أن يدبر لى بدلة سموكنج . واصطحبنى الصديق عبد الرحمن إلى غرفة الملابس وأعطانى بذلة سموكنج وقال : تعيدها غدا بعد تنظيفها !

وتضايقت من هذا الهزار السخيف .

ولم أكد أفرغ من ارتداء البذلة حتى أعلنت إدارة المسرح عن أن العرض يبدأ بعد دقيقتين . . وبسرعة نزلت وأخذت مكانى فى الصف الثالث وكأنما أشعلت النار فى كل جسمى . . فالبذلة لأنها قديمة ومركونة من سنوات فقد امتلأت بالبراغيث . . وجلست أصرخ فى صمت . . وأتململ ولا أستطيع أن أتحرك . . الناس إلى جوارى وورائى يتضايقون من حركاتى المكتومة . . وكان كل أملى أن تشبع البراغيث من دمى وتسكت . . ولكن البراغيث تلسع إذا كانت جائعة . . أما إذا شبعت فإنها تتسلى . . ولم أر الفصل الأول وذهبت إلى البيت ألقى بنفسى فى البانيو . . وبالبذلة فى الزبالة وأشعل فيها النار !

ومنذ أيام شاهدت القاهرة فرقة البولشوى الروسى . . القاهرة كلها متحمسة وسعيدة أن ترى فى قاعة المؤتمرات عملا فنيا رائعا . ترى الجمال وتتعلم النظام والصمت . . ترى الانضباط وتتعلم الاحترام . . فالموسيقى مدرسة والفن تربية . . والحرص على ذلك هو الحضارة نفسها .

مايكل جاكسون

نجم نجوم الرقص الغنائى أو الغناء الراقص مايكل جاكسون قرر أن يخطف الملكة نفرتيتى فى فيلم جديد يتم تصويره الآن فى أمريكا ، وقد أقنعه المخرج بأن ملامح مايكل جاكسون فيها شبه كبير بالمصريين القدماء . . ولو وضعوا نفرتيتى إلى جواره لكانت أقرب من أخته المطربة الصارخة لاتويا .

وفى مؤتمر صحفى أعلن مايكل جاكسون أنه رأى كثيرا من الأفلام المصرية ولاحظ أن المصريين لا يشبهون أجدادهم الفراعنة . وأن بعضهم يشبه أى ممثل أمريكى أو أوروبى . . وأنه شخصيا مفتون بملامح نفرتيتى الجميلة وأنه يحتفظ بعدد كبير من صور تمثالها الموجود فى متحف برلين . .

ونفرتيتى هى ملكة مصر وزوجة الملك اخناتون – أول رجل دعا إلى التوحيد فى التاريخ إلى المعنى المجرد الذى من غيره لا ليل ولا نهار ولا حياة على سطح الأرض فهو نور الحياة ومصدرها . . وهو كالعقل للإنسان مصدر النور والمعرفة .

وكانت نفرتيتى مؤمنة تماما بزوجها ، وتشاركه أفكاره وليس صحيحا ما قاله بعض المؤرخين من أنها كفرت بزوجها عندما ضعف نفوذه – والذين بادروا بهذا الرأى تنقصهم الأدلة القاطعة وبعضهم لجأوا إلى ترجمات ركيكة للنصوص الفرعونية . .

والتاريخ الفرعونى يروى لنا العلاقة القوية بين نفرتيتى وزوجها وبناتها الست ، التى كشفت عنها حفريات تل العمارنة سنة ١٩١٦ فقد ظهرت نقوش لنفرتيتى وهى تبعث له بقبله فى الهواء وهو يستقل عربته الحربية . . وكذلك صورها وهى تلعب مع بناتها . .

ولها فى المتحف المصرى تمثال من الكوارنس الأحمر مع لمسات من الحبر ولكن أشهر تماثيلها ذلك التمثال النصفى فى متحف برلين ، هذا التمثال يكشف عن عنقها البديع وملامحها الفاتنة ، وفى التمثال أن عينها اليمنى قد استقرت فى مادة كلسية أو مادة منصهرة أما عينها اليسرى فهى بلا حدقية ولعل الفنان الذى صنع التمثال أراد أن يقول لنا إن شيئا بعينها اليسرى . . أو أنها كانت بعين واحدة . . أو أى شىء آخر لا نعرفه .

على كل حال أفضل لنا أن نرى منظر جانبيا لنجمة نجوم الجميلات فى مصر الفرعونية .

وهناك ملكتان جميلتان أخريان هما : أم الملك إخناتون الملكة تيى والملكة حتشبسوت : الملامح جميلة جدا خطوط الوجه فتنة للعين ، والعينان والشفتان المرفوعتان والعنق . . ثم إنهن جميعا لهن وجنات ناتئة مما يدل على أنهن من أصول افريقية وآسيوية أيضا ، وإن كانت من أصل أوروبى أرى والحقيقة التاريخية غير ذلك فهى من أسرة نبيلة واسمها معناه : الجميلة اتية ، ولعل أهلها أرادوا أن يجعلوا لها صفات إلهة الجمال حتحور .

أما لماذا قرر مايكل جاكسون أن يخطف نفرتيتى فلأنه أعجب بها . ولأنه لم يتزوج حتى الآن . . وأن بعض علماء الأرواح قد قالوا له إنه يمكن استدعاء نفرتيتى بلحمها وشحمها وأن تشاركه الجلوس على قمة الموسيقى والطرب فى القرن العشرين !

كامل الأوصاف .

التاريخ المصرى القديم يعطى لرمسيس الثانى الذى مات ١٢١٣ق .م كل الصفات التى يتمناها الإنسان لنفسه ولأولاده .. فيقول إنه كان فى صحة جيدة جدا ، لم يعرف المرض ، ولما مات اندهش الناس لذلك .. فهم لا يعرفون كيف تسلل إليه الموت .. وهو فى سن صغيرة قد اتخذ الزوجات بالعشرات .. ثم إنه حكم مصر ٦٦ عاما ، ويقال سبعين عاما وكان عدد أولاده الذكور ١١١ وعدد الإناث ٦٧ .

وهو إلى جانب ذلك كان صاحب أعظم الآثار فى مصر : أبو سمبل الأقصر والكرنك .. وهو الذى انتصر فى معركة قادش سنة ١٢٧٣ ق .م وانتصر على الأعداء وسجل ذلك النصر العظيم على جدران غربى مدينة طيبة ثم على المسلة الموجودة فى ميدان الكونكورد فى باريس ، وعلى المسلة هذه العبارة : (قاهر الشعوب الأجنبية ، والذى حارب الملايين وأرغم العالم كله على الركوع عند قدميه) .

ونحن لا نعرف من هو الطبيب الذى وضع لهذا الفرعون العظيم قائمة لطعامه اليومية ، ولكن من المعلومات التى تناقلتها الحاشية والأجانب نعرف أنه كان لا يتناول من الطعام إلا وجبة واحدة ،

هذه الوجبة هى بعد غروب الشمس ، فهو يأكل وبعد ذلك بساعتين ينام حتى الصباح .

وهو لا يتناول طول اليوم إلا المشروبات المصرية التى يضيفون إليها عسل النحل ، وكان يضع المشروبات تحت العرش وهو يناقش ويقرر ، وفى أثناء الحروب كانت وراءه عربة تحمل ملابسه وشرابه وطعامه .

وكان يسير على القاعدة الفرعونية من كراهية الفول ، فالفراعنة لا يأكلون الفول ويرونه طعاما ضارا وشريرا أيضا .

وفى عصرنا الحديث ثبت علميا أن إطعام الفول المدمس للأطفال يصيبهم بسرطان الدم - هذه حقيقة علمية مؤكدة !

ونحن لا نعرف متى أصبح الفول المدمس طعاما أساسيا ويقال إن أقباط مصر هم الذين اختاروا هذا الطعام لأنه يناسب أيام الصيام إذا (دمسوه) ثم وضعوا عليه الزيت ولا يزال الفول المدمس هو سيد الأطعمة إذا ظهر على المائدة فى أى وقت ، فلا أحد يقاومه ولا يوجد طعام مهما كان ينافسه أو يتغلب عليه !

ويقال إن رمسيس الثانى كان يستحم كثيرا جدا وكانت له زوجات يقمن بتدليكه مع استخدام الماء الساخن جدا أولا وبعد ذلك الماء البارد . . وبعد ذلك كله يستحم فى حوض ممزوج بالعطور - كل يوم .

أما الأطعمة التى كان يسرف فى تناولها فهى الفواكه ، كل أنواع الفواكه وكان لا يأكل اللحوم بكل أنواعها ، وإنما الأسماك فقط . . ويقال إنه كان يجفف الأسماك ويأكلها نيئة . . وهو لا يحب كل الأطعمة المسلوقة .

وكـان يحب أن ينام بلا غطاء . . وأن يكون ذلك فى الهـواء الطلق . . وكان ينصح بأن يعتاد الأطفال على الملابس الخفيفة .

وعلى أيام رمسـيس الثـانى كـان الرجـال قـد عـرفـوا الملابس الداخليـة . . ولكنه كـان يفضل ألا يرتدى الملابس الداخلية لأنها ضارة بالصحة ؟

وحـتى وفـاته لـم تسـقط لـه سنة واحـدة ولا ضـرس أمـا سـبب ذلك : فـهو العناية بصحـة الفم وآه لم يكن عـصـبيـا - كـان رجلا (رائقا) على الآخر !

صار مليونيرًا

عندما ظهرت أجهزة التسجيل أسرفنا فى استخدامها فى التجسس على الآخرين بوضع الأجهزة تحت السرير أو تحت المخدة أو تركيبها فى التليفون - وكان ذلك من عشرات السنين . وتحولت أجهزة التسجيل إلى أجهزة تصنت من بعد .. فأصبحت الأجهزة صغيرة جدا فى حجم رأس الدبوس .. ولذلك يمكن إخفاؤها فى أى مكان من الغرفة أو من الكتب .. وعلى زجاج النوافذ وفى الطعام أيضا . وفى ملابس أى إنسان . وقد استخدمها العلماء لمراقبة ومتابعة حركة الطيور والحيوان .. وذلك بوضع الكاميرات وأجهزة التسجيل فى أجنحتها أو فى رقابها ليعرفوا حركتها فى البر والجو وتحت الماء ..

ومن أكثر الأجهزة شيوعا من ثلاثين عاما أجهزة كشف الكذب .. فقد كان البوليس يستخدم هذه الأجهزة أثناء التحقيق مع المتهمين ، وكان الجهاز يسجل اضطراب المتهم عند ذكر اسم من الأسماء أو مكان من الأمكنة . وكان البوليس يأخذ بما يرسمه جهاز كشف الكذب !

ولكن المحاكم فى العالم تحفظت فى استخدام هذه الأجهزة بعدما أعلن علماء النفس أن الاضطراب الذى يصيب الإنسان من

الممكن أن يكون لأسباب أخرى لا علاقة لها بالتحقيق معه .. كأن يتذكر شيئا وقع له فى طفولته ، ولا علاقة له بالحادث ..

ولذلك تحولت المحاكم عن الأخذ بكل أنواع التسجيلات الصوتية التى يمكن تزييفها أيضا .. كما تحولت عن اتخاذ الأفلام التى يلتقطونها للأشخاص فى بيوتهم أو فى أماكن أخرى .. ولكن هذه التسجيلات الصوتية والضوئية قرائن فقط .. تساعد على التحقيق أو تساعد على الضغط على المتهم حتى يعترف بالحقيقة ..

وفى الأسبوع الماضى أذاع التليفزيون الأمريكى تسجيلات التقطتها فتاة ادعت أنها على علاقة بالمرشح الديمقراطى بيل كلينتون . ولكن القضاء لم يأخذ بذلك ولم يجد فيها أى شىء يدل على أن المرشح كان على علاقة خاصة بالمطربة الأمريكية التى اتهمته بعلاقة طولها ١٢ عاما !

وفى نفس الوقت ذهبت إلى المحكمة فى لندن فتاة سقطت من فوق حصانها فأصيبت بآلام حادة فى عمودها الفقرى جعلتها تمشى على عكاز والفتاة تطالب بتعويض من شركة التأمين . فأتت شركة التأمين بجهاز اخترعه مهندس أمريكى اسمه هوجوكتش . والجهاز اسمه (ب ٢٠٠) . وقد أثبت الجهاز أن الفتاة تعانى آلاما شديدة .

وحكم لها القاضى بتعويض قدره ربع مليون جنيه . وجاء فى حيثيات الحكم أن القاضى لم يأخذ بما أثبته هذا الجهاز . فلم يحدث أن استعانت به المحاكم البريطانية قبل ذلك . وإنما القاضى قد رأى الصدق والأمانة فى عينى الفتاة وفى سلوكها . وأن كل

كلمة قالتها قد صدقها القاضى والمحلفون !

وقد احتاط القاضى فهو يعلم أنه من الممكن اللعب فى الجهاز ليكون مرة فى صالح المتهم ومرة فى صالح الآخرين . وإنما اعتمد على إحساسه وعلى روح القانون .

وقد عرفت من بعض المهاجرين فى استراليا أنواع الحيل التى يلجأون إليها لكى يحصلوا على تعويض سخى يساعدهم على الحياة بعد ذلك . . فهو يلقنون بعضهم البعض أن أهم إصابة يختارونها لكسب قضاياهم هى الوقوع أمام إحدى السيارات . . لأن كل إصابات الانزلاق الغضروفى لا تظهر فى الأشعة . ويكفى أن يقول الواحد : ظهرى . . آه يا ظهرى . . إننى عاجز عن الحركة . . لن أصلح للقيام بأى عمل . . فالإصابة خربت بيتى !

وفعلا لا تظهر آلام العمود الفقرى فى الأشعة ولذلك يكون التعويض عن هذه الإصابة سخيا . . وتكون بداية منعشة جدا لاستئناف الحياة بعد ذلك !

سألت أحد الشبان المهاجرين خفيفى الدم : كيف أصبحت ملونيرا هكذا وبسرعة !

فقال : أبدا . . إننى أتساقط بطرق منتظمة أمام السيارات فى مدن متعددة من استراليا . . والنتيجة معروفة !

وحشية ستالين !

الممثل الأمريكى روبرت ديفال مشى فى الميدان الأحمر بموسكو . . ولاحظ أن الناس ينظرون إليه . . ويندهشون ثم يطبقون عيونهم كأنهم يدفنونه فيها وذلك لما تبعثه صورته فيهم من ذكريات مروعة . . وقد اعتبر الممثل أن رد الفعل الروسى هذا ، أكبر دليل على أنه نجح فى المكياج الذى وضعوه له ليكون صورة طبق الأصل من ستالين !

هو يستعد لتصوير فيلم عن حياة السفاح السوفييتى ستالين الذى قتل وحده ومعه وزير الداخلية بريا أكثر من ٢٧ مليونا من كل الجمهوريات السوفييتية . . فلم تبيض له شعرة ، ولا سقطت أسنانه ، ولا أصيب بتصلب فى شرايينه . . فهو رجل سفاح بارد الأعصاب ، ومصاص للدماء لا يرتوى . . وقد كشفت وثائق المخابرات السوفييتية التى انحلت عن أعمال وحشية قام بها ستالين فى داخل الاتحاد السوفييتى ، لم يكن أحد يعرف عنها شيئا !

وأول من تنبأ لستالين بأنه سوف يكون وحشا آدميا : والدته فقد حاولت أمه أن تدخله الدير ليكون قسيسا ولكنه هرب . . وحاول أن يعتدى على عربة تنقل البريد الحكومى . . وأمسكوه

وحبسوه . . وانضم بعد ذلك للحزب البولشفيكى . . وكان ذراع لينين قائد الثورة البولشيفية وفيلسوفها . . وكان لستالين خصم يهودى هو تروتسكى فظل ستالين يطارده حتى قتله فى أمريكا اللاتينية . . وموقف ستالين من اليهود بأنهم حاولوا قتله . . فانقلب عليهم مبيدا لهم ولكثير من الأقليات !

وقد عثروا فى وثائق المخابرات السوفييتية المنحلة على مذكرات لسيدات كن قريبات لوالدة ستالين . . وقد جاء فى هذه الوثائق أنه كان يجد متعة كبرى فى خنق الطيور بيديه . . ثم يتفرج عليها وهى ترقص مذبوحة من الألم . . وجاء فى هذه الوثائق أيضا أنهم عثروا على ستالين عندما كان صغيرا فى قبر أحد أقاربه الذين قسوا على أمه . . فوجدوه يستخرج الموتى من القبور ويعيد شنقهم - ثم يدفنهم بمنتهى الهدوء .

وفى هذه الوثائق أيضا أنه أصدر أمرا إلى وزير الداخلية بريا بتعذيب أحد خصومه . . وطبيعى أن ينفذ الأمر . . وانشغل ستالين . . ثم عاد فسأل وزير الداخلية عن الذى فعله فقال له إنهم ضربوه وكهربوه ولسعوه بالنار . . وغضب ستالين لأن هذا ليس عذابا كافيا ! ثم جاء الحوار بين ستالين وبريا :

قال ستالين : عنده أولاد ؟

بريا : نعم ثلاثة .

- أحبهم إليه ؟

- ابنه الأصغر .

- اقتله أمام والديه . . قطعه ذراعا وساقا وعينا وأذنا . . هذا هو العذاب . . هل يحبه أحد ؟

ـ زوجته وأمه .

ـ عذب الزوجة والأم معا . . واطلب من واحدة أن تقطع لسان الأخرى . . وأن ترد عليها الأخرى فتفقأ عينها .

وقد وافق الرئيس يلتسين على تصوير هذا الفيلم عن ستالين فى قصر الكرملين وفى كل القرى التى كان يعيش فيها ستالين . . وتصوير مقبرته وجثمانه أيضا .

أما التعذيب فطلب يلتسين ألا ينفذ فى الاتحاد السوفييتى . . وإن كان لا مانع عنده من اشتراك أى عدد من الروس . .

أما السبب : فلأن الشعب الروسى عنده ذكريات أليمة موجعة . . لا يحب أن يراها . . ولا أن يسمع أحد أنه قد أعادها ، حتى ولو كان ذلك تمثيلا .

ثم طلب منهم شيئا غريبا : لا داعى لظهور أم ستالين . . وليست هذه رغبتى وإنما رغبة أمى أنا . . فهى تعتقد أنها كانت من أطيب السيدات وأنها كانت نموذجا للمرأة الروسية الحقيقية .

فوافقوا على مطلب أم يلتسين !

حرب الخليج

أرسلت بريطانيا رساما ليسجل بريشته حرب الخليج . . على أن يعرض هذه اللوحات بعد ذلك فى متحف الحرب . هو تقليد سارت عليه بريطانيا منذ سنة ١٩١٦ . ويكون هذا الرسام مبعوثا رسميا . ومن أهداف هذا الرسام هو تسجيل بطولات القوات البريطانية . . تسجيل الصور التى فاتت الكاميرات . . والتى يكون فيها الرسام شاعرا معبرا .

وإلى الكويت ارسلت بريطانيا الرسام الرسمى جون كين «٣٦سنة» وأقام الفنان فى الكويت فى ظروف قاسية جدا . . وكادت القنابل أن تقضى عليه . . ولكنه عاش . ليعود إلى بريطانيا بمئات اللوحات وعشرات الساعات من التسجيلات الصوتية والتليفزيونية .

ولكن ما كاد هذا الرسام يعرض لوحاته حتى انزعجت وزارة الدفاع البريطانية . . فهو لم يرسم الأعمال البطولية للقوات البريطانية وإنما هو سجل مشاعر الخوف والفزع والقرف التى استولت عليه هو . .

فقد اضطرته ظروف الحرب أن يلجأ إلى بيت كويتى متهدم . وقد وجد فى إحدى الغرف بقايا كل شىء ومخلفات القوات

العراقية . . فقد حولوا هذا البيت إلى دورة المياه . . وسجل الفنان كل ذلك !

وأغرب من ذلك أنه رسم لوحة كتب تحتها «ميكى ماوس فى الجبهة» واللوحة عبارة عن بقايا سوبر ماركت . . وشظايا وضحايا وفى إحدى السلال صواريخ مضادة للدبابات . . أما ميكى ماوس فقد جلس فى الكواليس . فما المعنى ؟

المعنى أن ميكى ماوس هو النموذج الأمريكانى الذى كان على راحتـه تمامـا والحـرب دائرة . وهو الذى أدار الحـرب وهو الذى كسبها . فالقوات الأمريكية هى التى هدمت الكويت والشركات الأمريكية هى التى تبنيها . وكأن الإنجليز ليس لهم دور فى هذه الحرب .

وإنما هى حرب أمريكية من البداية للنهاية !

ومن المفروض أن هذا الرسام سوف يعرض لوحاته ابتداء من ٢٦ مارس حتى ٣١ مايو . . ومفروض أنه قد سجل ما حدث باللون والمعنى . ولكن المشكلة أنه سجل مشاعره هو فقط !

والقصة فنية من أولها لآخرها !

ما الذى يفعله الفنان عادة ؟

الفنان يعبر عن مشاعره هو بمنتهى الحرية . أما الذى تريده وزارة الدفاع فهو ليس فنا حرا ، وإنما هو تسجيل رسمى لوجهة نظر الوزارة . وقد رد الفنان جون كين أنه لم يرسم لوحات لكى توضع فى مكاتب القادة العسكريين . فإذا كان هذا هو المطلوب فقد اختارت الدولة الشخص الخطأ . وإنما هو رسم ما يراه هو ما يشعر به هو ، وما هو صادق وعميق .

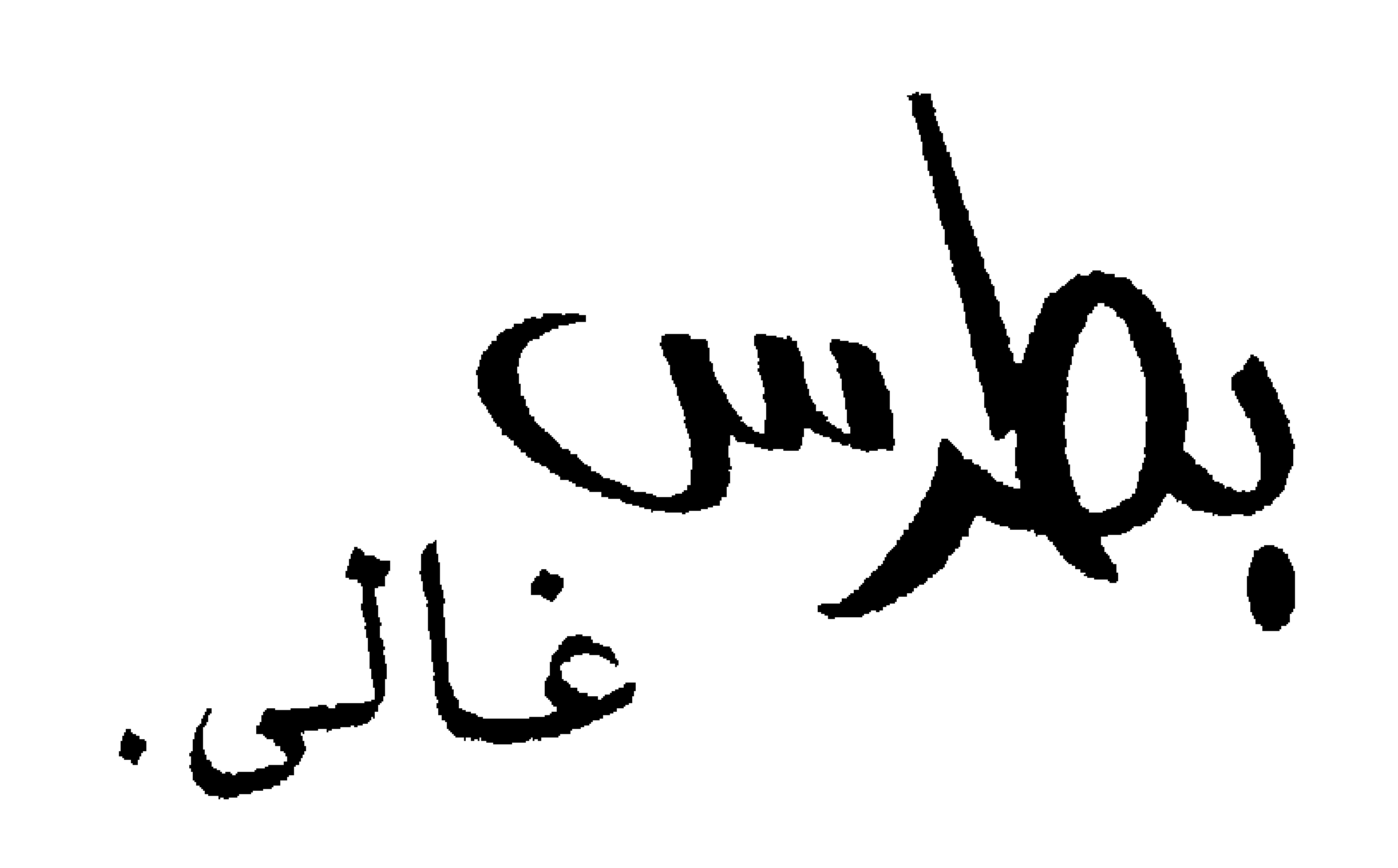
ولم تعرف وزارة الدفاع ما الذى يجب أن تفعله مع هذا الرسام ، ودارت مناقشات فى ضرورة أو جدوى إرسال رسام إلى الجبهة ما دام لا يرسم ما تريده الوزارة . ولكن الرسام الذى له قيمة هو الذى يتخلى عن حريته وصدقه لأى سبب . . وعلى ذلك فوزارة الدفاع يجب أن توافق على ما سوف يعرضه هذا الرسام . حتى ولو كان ذلك نقدا شديدا لوزارة الدفاع . إن المطب الذى وقعت فيه وزارة الدفاع لا يمكن الخروج منه . فهى التى اختارت الرسام وهى التى أوفدته وهى التى لم تجرؤ أن تقول له ماذا يرسم وكيف يرسم فهى - إذن - تعلم مقدما أن هذا ما سوف يحدث . وقد حدث مالم تكن تتوقعه .

وسئل الفنان عن هذا الذى رسمه وإن كان هذا مطابقا لرغبات وزارة الدفاع .

فأجاب : أنا ذهبت ورأيت ورسمت وعانيت وتعذبت وأحسست وعبرت . هذا بالضبط ما فعلت . ولكن إذا كان لأى أحد تصور آخر . . فليس هذا من شأنى . وإذا رأى أحد أننى بددت أموال الدولة فأنا على استعداد لإعادة المبالغ التى انفقتها الحكومة . فأنا لا أقبل ثمنا لحريتى !

ولم تجد وزارة الدفاع ما تقوله ردا على تصريحات الفنان . . أما الذى سوف يقول فهم الأمريكان الذين أهانهم الفنان . . وكذلك مؤسسة «والت ديزنى» التى اخترعت شخصية ميكى ماوس !

كل ذلك لا يهم . . فالمهم هو أن الفنان بكامل حريته قد انتقد حكومته والحكومة الأمريكية !



د . بطرس غالى سكرتير عام الأمم المتحدة عنده مشاكل كثيرة تنتظره . فلابد من إرسال عشرة آلاف جندى إلى يوغوسلافيا وألف إلى السلفادور لإنهاء حرب استمرت ١٢ عاما . . وإرسال قوات إلى كمبوديا إلى أن تتمكن من اختيار حكومة لها فى العام القادم . . والإشراف على استفتاء عام فى الصحراء الغربية حتى تقرر الجمهورية الصحراوية استقلالها الذاتى أو عودتها إلى المملكة المغربية .

وأمام د . بطرس غالى مشاكل تلوث المياه ومشاكل تزايد إسكان فى العالم والمجاعة . .

لقد انتهت الحرب الباردة بين أمريكا وروسيا . واتجهت الشعوب إلى الأمم المتحدة لتقوم بدور الوساطة معتمدة على خبرائها وقوات الطوارئ الدولية . ولم يعد هناك ذلك الصراع التقليدى بين روسيا وأمريكا على كسب ثقة أعضاء الجميعة العمومية ١٦٦ دولة . .

والأمم المتحدة إدارة متخلفة ومرهقة بعدد كبير من الموظفين ، ثم إن مواردها المالية تتناقص . .

ومن المعروف الآن أن المنظمة الدولية تدرك أنها أحد الكازينوهات ، وليست كمنظمة دولية .. ففيها أهواء وأغراض وفيها أبهة وفخامة وحكم ذاتى لبعض وكالاتها التى تخضع لحكوماتها وليست للمنظمة الدولية !

وهناك إلحاح من ألمانيا واليابان أن تكونا عضوين دائمين فى مجلس الأمن مثل فرنسا وبريطانيا .. بل ألمانيا واليابان أقوى وأعظم من كل الدول دائمة العضوية - فيما عدا أمريكا .. فالأمم المتحدة بصورتها الحالية قد أنشئت من ٤٦ عاما فى اعقاب الحرب العالمية الثانية . والدنيا تغيرت الآن وأصبحت ألمانيا واليابان أقوى دولتين فى العالم ..

وبعض دول العالم الثالث ترى أن تكون لها عضوية دائمة مثل البرازيل والهند ونيجيريا ومصر .. وإلا كان مجلس الأمن لصورته القديمة مقصورا على الأغنياء يتحكمون فى فقراء العالم الثالث .

والحل أمام بطرس غالى : ليس بإضافة مراكز جديدة ، وإنما بالاستغناء عن كثير جدا من المراكز القديمة التى أرهقت ميزانية الأمم المتحدة وأضاعت وقتها وجعلت المشاكل فى حجم الجبال وبست لغات !

وهناك وكالات تابعة للأمم المتحدة تبعث على السخرية . فقد اتخذت لها مواقع دائمة فى جنيف وباريس وروما وتعيش فى استقلال تام عن الأمم المتحدة !

ومؤسسة اليونسكو قد تحولت إلى منظمة ماركسية تهاجم كل دول الغرب ، فما الذى تعمله الآن فى غياب الاتحاد السوفييتى ؟

ومؤسسة الأغذية والزراعة يرأسها رجل واحد من ١٦ سنة -

وهذا ما لم يحدث فى أى مكان ولأى سبب .. ثم إنه لا جدوى من هذه المنظمة بصورتها السيئة الحالية .

وقد تقدم ثلاثون سفيرا أجنبيا بتصور لإصلاح الأمم المتحدة . وقدموا تصورهم هذا لبطرس غالى قبل أن يحلف اليمين .

وتفرغ السكرتير العام السابق فى تحقيق السلام الذى استحق عنه جائزة نوبل . ولكن السكرتير السابق لم يكن يحب التغيير .. ورفض أى تعديل فى شكل المنظمة أو فى إدارتها .. فهو لم يشأ أن يغضب دولة من الدول .. وحرصه على إرضاء الجميع هو الذى اطال عمره فى المنظمة . ولكن فى نفس الوقت كان بطىء الفعل ورد الفعل . ولذلك فالأمل الآن فى . د بطرس غالى ..

وأول ما يجب أن يفعله د . بطرس غالى هو أن ينظر إلى مكتبه ففيه ثمانية مساعدين يساعدهم ٢٧ مساعدا و ٢١ خبيرا ..

إن مثل هذا العدد الهائل من الصعب أن يقدم له صورة واضحة للدنيا . فليبدأ د . غالى ببيته أولا ثم بعد ذلك ببقية البيوتات الدولية فى نيويورك وفى العواصم العالمية !

وقد بدأت الصحف العالمية تستعجل بطرس غالى أن يفعل شيئا وبسرعة .. وأن يكون قراره جذريا وحاسما .. والدنيا حوله تتغير وتتبدل وبسرعة وبقوة ، فالمزاج العالمى الآن هو الحسم والحزم وبسرعة !

البولشوى

أهم حدث ثقافى فى القاهرة الآن هو استعراضات : باليه البولشوى . . وعلى الرغم من تعاسة روسيا من جوع وبرد وفوضى ، فإن الباليه هو أسمى ما انتجته الثقافة الروسية فى القرون الثلاثة الماضية .

والباليه كلمة إيطالية الأصل . . فالفعل الإيطالى بالارى - معناه يرقص . . والباليه لذلك هو استعراض مسرحى موسيقى راقص . . والإيطاليون كانوا يسمون أغنياتهم التقليدية : أغنيات راقصة فى عصر النهضة الأوروبية .

أما الثورة الحقيقية فى فن الباليه فهى عندما قررت الأكاديمية الفرنسية وضع قواعد وقوانين لحركات الرقص . . ولذلك فكل حركات الرقص لها أسماء فرنسية : وضع القدمين وحركة الذراعين والساقين والإيماءات - دون كلمة واحدة تقال . . وقد شهد البلاط الملكى الفرنسى سنة ١٥٨١ حفلات راقصة مرتجلة يشترك فيها الملك والملكة والأمراء والنبلاء فى مناسباتهم الاجتاعية .

والعرض المسرحى للباليه يقدم حكاية أو أسطورة أو يعرض فكره . . فالموسيقى ألفها موسيقار والسيناريو كتبه مؤلف

والرقصات صممها أستاذ فى فن الرقص .. كل ذلك أمام ديكورات من تصميم فنان كبير .

وكلمة «بولشوى» باللغة الروسية معناه الكبير ..

وقد شاهدنا فى القاهرة قبل حريق دار الأوبرا المصرية عددا كبيرا من فرق الباليه منها باليه إمارة مونت كارلو .. والباليه الروسى .. وعرفت القاهرة أعظم راقصات الدنيا : تومانوفا .. وأولانوفا وأذكر أن المرحوم سليمان نجيب مدير الأوبرا قد كلفنى بمرافقة بعض فتيات الباليه الروسى للفرجة على خان الخليلى .. ولاحظت أننى لا أستطيع أن أمشى أمامهن أو إلى جوارهن وإنما وراءهن إعجابا برشاقة حركات الفتيات وهن يطرن من فوق الأرض .. شىء رائع وجميل أيضا .. ولابد أن يكون الباليه البولشوى فى مصر حديث الناس قبل أن يروه وبعد ذلك .. فعشق الباليه مثل الحب الذى تحدث عنه شوقى فى مصرع كليوباترا :

نحن فى الحب حديث بعدنا !

ونحن فى حب الباليه حديث بعد مشاهدة الباليه .. وأثناءه وقبله .. وقد تفوقت روسيا فى تطوير فن الباليه .. فهى تختار الراقصات من سن الثالثة .. وتظل تربى وتتبنى أنسب الفتيات وتعمل على تغيير وتشكيل الجسم الإنسانى فى سن صغيرة .. حتى يكون الطفل والطفلة مناسبين تماما للرقص .. فالأكاديمية الروسية فى سانت بطرسبرج لا تدرب وإنما تقوم «بتخليق» الراقص .. وهو أعظم وأروع صادرات روسيا إلى الدنيا كلها !

وكما أن لكل فن عشاقا ودراويش مثل كرة القدم ومصارعة

الثيران ، فكذلك الباليه .. وقد دخلت اللغات الأوروبية كلمة «باليتومانيا» أى جنون الباليه .. أو هوس الباليه .. وقد كانت من عادة عشاق راقصات الباليه .. فى القرن التاسع عشر ، كما يتسابقون على قميص لاعبى كرة القدم وبرنيطة مصارع الثيران .. يتساقطون من شدة الإعجاب .. وكانت راقصة الباليه الأمريكية ايزادوره دنكان تعلم مقدما عدد دراويشها .. وكانت تساومهم على ثمن حذائها .. حتى تبيع حذاءها فى إحدى حفلاتها فى باريس بما يعادل الآن مليون جنيه .. وكانت تقام لها الحفلات .. وكانوا يضعون أحذيتها على المائدة .. شىء من ذلك طبعا لن يحدث فى القاهرة ، ولكن من المؤكد أن فرقة البولشوى سوف يسعدها الجمهور المصرى وكرم الضيافة .. وأن الفرقة من أولها إلى آخرها بعيدة عن موسكو حيث البرد والجوع والأرق والقلق !

كلينتون رئيسا !

(١)

المرشح للرياسة ضد الرئيس بوش عن الحزب الديمقراطى هو بيل كلينتون (٤٥ سنة) كان محافظا لولاية اركنساس سنة ١٩٧٨ - أصغر محافظ عرفته أمريكا . وهو رجل لطيف وذكى وعنده خيال .

وهم يقارنون بينه وبين الرئيس جون كيندى - فهو وسيم . وكانت له هو الآخر مغامرات . . وكلمة مغامرات هذه عبارة عن لغم عائم فى سنة الحملات الإنتخابية . وهذا اللغم من الممكن أن ينسف الرئيس الجديد . ولا يوجد أى شىء ينقذه من غضب الشعب الأمريكى .

فهناك ألغام عائمة لا ينجو منها أى مرشح مهما كان عبقريا . .

كأن يكون قد تأخر فى دفع الضرائب . . أو غالط فيها لأى سبب !

وقد أدت هذه الحقيقة إلى الإطاحة بسيدة كانت مرشحة للرياسة . .

أو يكون قد هرب من الخدمة العسكرية . . أو كان جبانا فى

الحرب . . وهذا يكفى جدا للإطاحة به فورا . وقد أثيرت هذه الفضيحة ضد السيد كويل نائب الرئيس بوش فقيل إنه لم يحارب وإنما اكتفى بأن كان ضمن الحرس الوطنى الذى بقى فى أمريكا ولم يذهب إلى فيتنام . وأثبت الرئيس بوش أن بقاءه فى أمريكا ليس هربا ولا بناء على طلبه ، وإنما اكتفى بأن كان ضمن الحرس الوطنى الذى بقى فى أمريكا ولم يذهب إلى فيتنام . وأثبت الرئيس بوش أن بقاءه فى أمريكا ليس هربا ولا بناء على طلبه ، وإنما هو قرار من وزارة الدفاع . وأنه ليس الوحيد الذى عمل فى الحرس الوطنى . وإنما كثيرون . ولا علاقة لهذا القرار بأنه يملك مئات الملايين . فهو لم يشتر هذه الوظيفة !

وأما السبب الثالث فهو أن تكون له فضائح أخلاقية . . كأن يكون خائنا لزوجته . . وأن تكون له غراميات . . وقد وجدت الصحف الأمريكية للمرشح الوسيم جدا جارى هارت علاقات غرامية . . ونشرت له صورًا مع فتاة جميلة بالمايوه وقد تعلقت فى رقبته وهذه الصورة تكفى للإطاحة به . . وقد اختفى هذا المرشح تماما . ولم يعد له الحق فى أن يرشح نفسه سنة ١٩٨٤ .

وقد عثروا للمرشح الديمقراطى كلينتون على غراميات بالصور . . من بينها علاقته بجميلة جميلات أركنساس سنة ١٩٨١ . وهذه الجميلة زوجة ولها أولاد الآن . اعترفت بأنها كانت على علاقة به لمدة ١٢ عاما . وأنها لا تزال تحبه !

ويقال كانت له علاقة بفتاة أخرى حملت منه ، واضطرها إلى الإجهاض . . ويقال واحدة ثالثة .

وقد اعترفت زوجة كلينتون التى أنجبت منه فتاة عمرها الآن ١٢

سنة ، بأن بينهما خلافات كثيرة . ولكنها لا ترى إن كانت له علاقات أخرى بسبب هذه الخلافات . وأنها سوف تستأجر له أعظم المحامين فى أمريكا لتبرئته من هذه الشائعات الكيدية والتى يقودها شخص كان يعمل فى ديوان المحافظة ، ثم فصله كلينتون . . وقد أقسم هذا الشخص أمام كثيرين أنه سوف يلطخ سمعة المحافظ كلينتون بالطين ، ما استطاع إلى ذلك !

ولم تبدأ المعركة بعد . .

وقد استعدت المحاكم والمحامون قد نشطوا وجمعوا المعلومات عن الصحف والمجلات التى بدأت تهاجم المرشح الديموقراطى أملا فى إسقاطه .

ومن المؤكد أن مديرى حملة اننتخابات الرئيس بوش سعداء بهذه السقطة التى سوف تهوى بهذا المرشح . . ولكن الرئيس بوش عندما سئل عن ذلك قال : أعتقد أنها أكاذيب مفضوحة !

ولما قيل له : ولكنه خصمك !

فأجاب بوش بسرعة : ولكن العدل والإنصاف صديقانا نحن الاثنان !

وياسلام على لباقتك يا سيادة الرئيس !

(٢)

حادثة واحدة وصورتان للسيدة بربارا بوش !

الحادثة هى إصابة الرئيس الأمريكى بوش بإغماء ووقوعه أثناء تناول العشاء الرسمى فى طوكيو . . الرئيس أصيب بإغماء خفيف أدى إلى انزلاقه من فوق مقعده إلى الأرض . . والتشخيص الرسمى هو : الإرهاق الشديد .

أما الصورة التى نشرتها كل وكالات الأنباء والتليفزيون فهى السيدة بربارا بوش واقفة كالجبل تنظر من بعيد دون أن تمد يدا للرئيس مكتفية بما فعله رئيس وزراء اليابان والوزراء . . ويقال إنهم عندما طلبوا إليه أن يشرب شيئا فى صحة الصداقة اليابانية الأمريكية ، لم يتمكن الرئيس من مجاراتهم فى ذلك ولكن حرم الرئيس أكملت هذه الطقوس الرسمية . . وقالوا إنها قامت بدور الرئيس عندما لم يستطع أن يفعل شيئا . . أى أنها سيدة قوية متينة الأعصاب واستطاعت فى لحظة دقيقة جدا أن تؤدى ما يجب أن يفعله الرئيس . . وراحوا يقارنون بما كانت ستعمله زوجات الرؤساء الأمريكان السابقين من الانهيار والبكاء . . وكما كانت سوف تعمله أى زوجة لأى رجل .

وبعمليه حسابية بسيطة جدا استنتجوا أن زوجة الرئيس بوش سيدة عظيمة جبارة قوية متينة وأعصابها من حديد !

ولأن هذه الرحلة التى قام بها بوش كانت فى أمريكا بداية سنة

حملة الانتخابات الرئاسية فى أمريكا ، قالت أجهزة إعلام المعارضة : إنه رجل مريض . . أو لأنه مريض فلم يستطع أن يتحمل هذه الرحلة الشاقة فى استراليا وجنوب آسيا واليابان . . وإن الشعب الأمريكى يجب أن يختار الرجل الصحيح القادر على أن يحل المشاكل الداخلية .

وبعد يومين من هذا الحادث قدم اليابانيون فيلما كانت قد التقطته كاميرا خافية . .وهذه الكاميرا الخفية كانت موجودة هناك لتسجل ما حدث بالصوت والصورة من أجل «توثيق» المقابلات الرسمية - أى أنها كاميرا رسمية - وفى الفيلم صورة للسيدة بربارا بوش وقد تحركت بسرعة . . وأمسكت فوطة ووضعتها على فم الرئيس بوش الذى كان يسترجع كل ما فى أحشائه . . وبعد أن مسحت وجه الرئيس وما تساقط على ملابسه ، عادت ووقفت فى مكانها على النحو الذى نشرته كل تليفزيونات العالم والمجلات المصورة . . أى أنها سيدة عادية جدا : أصيبت برعب وخافت واندفعت تبعد الرجال عن زوجها وفى نفس الوقت مسحت شفتيه وصدره . . فهى لا تحب أن يراه الأمريكان والعالم على هذه الصورة- مع أنها صورة إنسان أصيب بإغماء - وهو ما يحدث فى كل مكان . . ولكنها لا تحب أن يراه خصومه والشعب الأمريكى الذى انتخبه والذى أعجب به فى إدارة أزمة الخليج وانهيار الاتحاد السوفييتى .

ولكن الذى لم يختلف عليه أحد هو أن زوجة الرئيس قوية أكثر مما يتصور أحد . . فقد أكملت طعامها وشرابها وهى تقول إنه مرهق فالرحلة كانت شاقة جدا . . وأنها شخصيا تعبت وأنها نصحت

الرئيس أن يستريح عندما يعود إلى أمريكا .. ولكنه قال لها : إنه لن يخدع الشعب الأمريكى .. فإذا وجد نفسه فى صحة جيدة فسوف يمضى فى ترشيح نفسه .. ولكن إذا وجد نفسه مريضا ، فسوف ينسحب فورا وعلى الشعب الأمريكى أن يختار الأنسب! وسوف يكون سعيدا بذلك .. فالذى أداه لبلاده وهو فى صحة جيدة ، يجعله فخورا بما قدم لبلاده وشعبه وللسلام العالمى .. وأنه على يقين من أن أولاده سوف يفخرون به .. فقد كان أبا مثاليا لهم .. كما أنه كان أبا مثاليا للشعب الأمريكى !

والصورتان للسيدة بربارا بوش تضعانها فى مصاف السيدات المحترمات اللاتى يلقن بهذا الدور التاريخى .. فتكون إلى جوار أقوى رجل فى العالم .. قوية كما أنه كان قويا ولا يزال !

(٣)

مـشكلة الرئيس بوش هى أنه إن نجح فى هذا العـام - عـام الدعاية الانتخابية لرياسته الثانية . فعنده فى الداخل مشاكل اقتصادية كثيرة : كساد وبطالة . وضرائب وسلع يابانية تطرد السلع الأمريكية من الأسواق الأمريكية .

ولذلك قرر الرئيس بوش أن يذهب إلى آسيا وإلى استراليا .. ويحاول أن يفتح أسواقا جديدة للبضائع الأمريكية .. وقد رافقه عدد كبير من رجال الأعمال الأمريكان .. وذلك لكى يكون فى حالة اجتماع مستمر مع أصحاب رؤوس الأموال ..

وقبل أن يصل بوش إلى اليابان كانت الصحف اليابانية تتساءل : ماذا يريد بائع السيارات الأمريكى ؟

أو يتساءلون : إن هذا الرجل كان يجب أن يحترم نفسه بدلا من أن يجىء يطلب العفو والسماح من اليابانيين ويطلب امتيازات خاصة ، مع أنه لا يقدم لليابانيين أية امتيازات ؟

إحدى الصحف اليابانية قالت : أهذا هو الرجل الذى نجح فى حرب الخليج .

كأنهم لا يعرفونه . أو لا يذكرون له إلا انجازا واحدا هو حرب الخليج ..

وحاول رئيس الوزراء اليابانى أن يخفف حدة غضب الشعب اليابانى على الرئيس الأمريكى الذى جاء يشكو من حرية التجارة

بين البلدين . . والذي جاء يدافع عن قوانين حماية السلع الأمريكية ضد السلع اليابانية . . مع ذلك فاليابان قد اكتسحت كل الأسواق فى أمريكا وأوروبا وآسيا واستراليا . .

إنها فرصة للشعب اليابانى لينتقم من الشعب الأمريكى الذى سخر كثيرا من اليابانيين وخصوصا بعد الحرب العالمية مباشرة . . والذى أرغم حكومة اليابان على أن تقدم اعتذارها بعد خمسين عاما إلى الحكومة الأمريكية على أنها أغرقت أسطولها فى ميناء بيرل هاربور . . بينما لم تعتذر أمريكا عن استخدام القنابل الذرية فى ضرب نجازاكى وهيروشيما!! ولم يطلب إلى الشعب الألمانى أن يعتذر عن أى شىء فعله فى الحرب العالمية الثانية - أليس من حق اليابانيين أن يقولوا : إنه التعصب ضد الجنس الأصفر ؟!

ونفس الشعور بالغيرة والكراهية للشعب اليابانى كان يمارسه الرئيس ديجول . فعندما زار فرنسا رئيس وزراء اليابانى تساءل ديجول : وماذا يريد هذا الرجل الترانزستور ؟!

وقد اكتسبت السيدة أديث كرسون رئيسة وزراء فرنسا شعبيتها بالهجوم العنيف على الشعب اليابانى وإعلان كراهيتها لأناس لا عندهم دم ولا عواطف ولا امتنان لأحد - إنهم يريدون أن يبيعوا أى شىء وبأى سعر وفى أى مكان . . ولو أدى ذلك إلى خراب الدنيا كلها . .

وفى أمريكا أحس الشعب الأمريكى أن الرئيس بوش لم يحسن اختيار الوقت لزيارة اليابان . . وجاءت أرقام الاستفتاءات الشعبية تقول : إن الشعب الأمريكى قد أنقص شعبية الرئيس . . فأولا ما كان يجب أن يترك أمريكا فى هذه الأيام . . ففيها من

المشاكل العاجلة الكثير جدًا . . ثم إن الشعب الأمريكى لم يكن فى حاجة إلى أن يتلقى درسًا من الشعب اليابانى الذى يطالب بوش بأن يرتب بيته وينظمه قبل وصوله إلى أمريكا . . فإذا كان هناك خلل فى الميزان بين الدولتين ، فالسبب راجع إلى سوء الإدارة الأمريكية وليس إلى العبقرية اليابانية ، وثانيًا أن الرئيس يعلم أن صحته ليست على ما يرام . . وبعد سقوط الرئيس أثناء مأدبة الغداء ، أكد الشعب الأمريكى أن الرئيس لا يستطيع أن يكمل مسيرته إلى النجاح فى الانتخابات . . وإن كان البيت الأبيض يؤكد أن الرئيس «زى البمب» ، وأن نائب الرئيس ليس فى حجم أو وزن الرئيس الأمريكى - صحيح أنه أصغر وأنه أصح ولكن تجاربه وقدراته دون المستوى المطلوب . .

ويتساءل الأمريكان : وما الذى أسفرت عنه رحلة الرئيس إلى اليابان؟ إن رئيس وزراء اليابان يحاول أن يجعل هذه الرحلة ناجحة وأن يؤدى نجاحها إلى اجتياز الرئيس بوش محنة هذا العام الدعائى - لعله يفوز فى الانتخابات القادمة . .

ولذلك فليس من المتوقع أن يهتم الرئيس بوش بمحادثات السلام . . وإنما يكفيه أنه جمع الأطراف معًا . . وعليها أن تمضى فى مسيرتها . . فهى بين دولة عاقلة وناضجة وتعرف ماذا تريد ، هى جميعًا فى حاجة شديدة إلى السلام . . وهى تعلم أن هذه الفرصة إن ضاعت ، لأى سبب ، فعلى جميع الأطراف أن تنتظر نتائج انتخابات أمريكا وإسرائيل . . أو تنتظر القرن الواحد والعشرين!

(٤)

سلامتك يا ريس . .

لم يقلها أحد للرئيس الأمريكى بوش . فالأمريكان أناس عمليون . فإن رأوا أن الرئيس بوش تعبان ، اتجهت العيون إلى قطعة الغيار الجاهزة عندهم : السيد كويل . . وبسرعة تساءلوا : أين يكون ؟ وهل اتصل به البيت الأبيض يطلب إليه الاستعداد لحلف اليمين فى حالة وفاة الرئيس الأمريكى ؟ أو عجزه أو شلله !

وبسرعة تتكهرب أسعار العملات والبورصة . . توضع القوات الأمريكية فى كل مكان على درجة الاستعداد القصوى . . وصدت الأوامر لأقمار التجسس فوق أوكرانيا لعرض حركات الصواريخ النووية وهل هى فى أماكنها . . أو هى أطلت برؤوسها واتجهت إلى واشنطن وعواصم دول حلف الأطلنطى . .

ولذلك بسرعة أصدر البيت الأبيض بيانات تشرح ما حدث بالضبط . . ولماذا حدث ؟ وما العلاج بالضبط ؟ وهل سيؤجل الرئيس سفره إلى أمريكا . . وهل يغير برنامجه فى أمريكا؟ وتاريخ المرض عن الرئيس بوش . . وهل هذه الأغماءة لها علاقة باضطراب نبضات قلبه من قبل ؟

أما الرئيس بوش فقال ضاحكا : لأننا ديمقراطيون فلابد أن نصاب بالانفلونزا من حين إلى حين !

وبسرعة ظهرت سجلات أمراض الزعماء الأمريكان . وكيف

أن ايزنهاور هو الآخر قد أصيب بأزمة قلبية وظهر على التليفزيون الرئيس السابق نيكسون يتحدث عن متاعب الرؤساء وعن إصاباتهم .. وفى نفس الوقت لا يقدم حلولا حتى لا يصاب أى رئيس بالإغماء .. لأن رئيس الدولة الأمريكية هو أقوى رجل فى الدنيا .. مثل رائد فضاء أقفلوا عليه الصاروخ وطلبوا إليه أن يلف حول الأرض .. ولا بد أن يظل يلف وأن يعطس وأن يتصدع وأن يبتلع أوجاعه وإلا .. وإلا أركبوا معه واحدا آخر فورا أو بدلا منه !

ولما انطلق الرصاص على ريجان .. كان لابد من تصويره عارى الصدر والظهر ليتأكد الشعب أن إصابة رئيسه خطرة أو إصابة عارضة .. وأنه سوف يبقى فى المستشفى كذا يوم وكذا ساعة .. وبعدها يستأنف حياته العادية ..

وإذا أجريت للرئيس ريجان عملية فى أنفه كان لابد أن يعرف كل مواطن فى أمريكا ماذا حدث للرئيس بالضبط .. لأن حياة الشعب الأمريكى فى بلاده وفى كل الدنيا بين أصابع هذا الرجل . والعالم يريد أن يتأكد من سلامة الأيدى التى تدير قدره أرضا وجوا وبحرا وفضاء وبورصة وأسلحة !

وعندما أجريت عملية جراحية للرئيس جونسون نشرت الصحف صورته ومكان العملية والأدوات التى استخدمت فيها .. وفجأة ظهرت صحيفة طبية تقول : إن البيت الأبيض يكذب على الشعب الأمريكى .. فبعض الأدوات التى استخدمت فى العملية ليس هى الأدوات التقليدية .. لقد وضعوا أجهزة أخرى .. إنهم يكذبون على الشعب الأمريكى . فلماذا ؟ وما

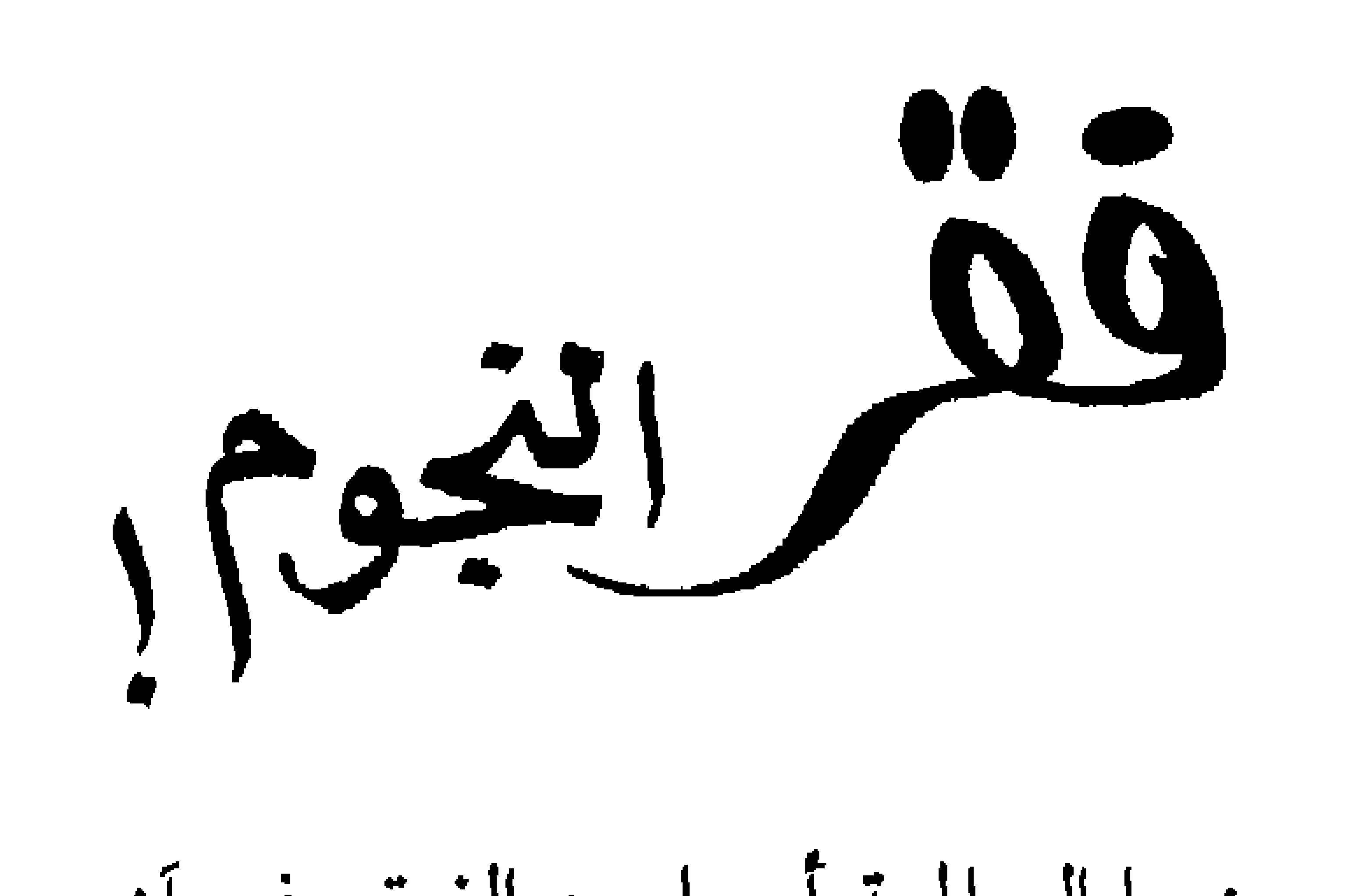
المعنى ؟ ومن الذى قال للبيت الأبيض إن الأطباء قد بلغوا هذه الدرجة من الجهل!

فعلا . كانت هناك غلطة . إنها غلطة . إنها غلطة إحدى الممرضات التى استدعوها بسرعة لكى تأتى بنفس الأدوات التى استخدمت فى جراحة الرئيس . . فأخطأت الممرضة ووضعت أداة لا تستخدم فى مثل هذه العملية . إنها غلطتها . . واعتذرت الممرضة فى نفس الصحيفة . . وظهرت على شاشات التليفزيون تؤكد هذا الاعتذار !!

وكان شيئا غريبا حقا أن تنشر الصحف الأمريكية ضجة إصابة الرئيس الأمريكى ريجان بأنه لم يتمكن من دخول دورة المياه . . فقد أصابه امساك مفاجىء . . وكان لابد أن يرد الأطباء على هذا السؤال : ولماذا أصيب الرئيس بإمساك هل خاف ؟ هل أصابه انهيار عصبى ؟ على اسرف الرئيس فى استخدام العقاقير ولماذا ؟ هل تعاطى حبوبا منومة فبعض المهدئات والمسكنات تصيب المريض بالإمساك ؟

وإذا تساءل أحد هكذا كان لابد أن يجيب البيت الأبيض . لأن من حق الشعب أن يطمئن على العقل والجسم الذى يدير حركة الكرة الأرضية والمصالح الأمريكية فى العالم . .

ويجب أن يجيب البيت الأبيض وبمنتهى الدقة . . ولا يضيق بأى نوع من الأسئلة من أى مواطن !



كثير من نجمات السينما العالمية أصابهن الفقر فى آخر أيامهن . . والسبب أن السينما تقدمت وأن أحدا لم ينفق عليهن . . ثم إن أكثرهن قد أدمن الخمر والمخدرات . . فقد أدى ذلك إلى ضعف صحى وانهيار عصبى أتيا بهن إلى المستشفيات العقلية . بعض النجمات العالميات لجأن إلى طريقة أخرى للحصول على المال وهى كتابة مذكراتهن العارية الفاضحة . . وفى نفس الوقت تهديد العشاق القدامى ، فإنهم إذا لم يدفعوا فسوف تحكى الممثلة حكاية ورواية تفضحه بين أولاده وزوجته والمؤسسة التى يرأسها . . فالممثلة النمساوية الأصل الجميلة جدا هيدى لامار . . كانت تبعث لعشاقها القدامى بأنهم إذا لم يدفعوا فالفضيحة جاهزة وفى المطبعة وكانوا يدفعون كثيرا . . يشترون فضيحتها . ولكن احتياجاتها لا تنتهى والابتزاز مستمر .

وظهرت طريقة أخرى لابتزاز الأموال أيضا . . ليست النجمة هى التى تكتب قصتها وفضائحها إنما ابنتها . . وأسوأ صورة لذلك ما كتبته ابنة جوان كروافورد فقد صدرت لها مذكرات عارية «ملط» بعنوان : أمى أعز الناس!

وأجمل ما فى الكتاب هو العنوان أما الباقى فقصص وحكايات وتعذيب لأمها من عشاقها على مدى إربعين عاما !

وقد انتشر هذا الكتاب وباع ملايين النسخ ولم تستطع الأم أن تحصل على دولار واحد من ابنتها !

وقد تمت الفضيحة وانهارت الأم . ودخلت مستشفى الأمراض العقلية . وقد ضبطتها فى وضع شاذ .

وقالت لها الأم : استرينى . . لا تفضحينى . . اكتبي وقولى أى شىء إلا هذا الذى رأيت !

وآخر الفضائح أن ابنة الممثلة الألمانية مارلين ديتريش «٩١سنة» قد قررت نشر غراميات أمها . . ايزمارلين ديتريش اسمها ماريا ريفا «٦٦ سنة» وكانت مارلين ديتريش تعيش حياة بسيطة فى باريس فى شقة من ثلاث غرف تحت اسم زوجها الذى عايشها أربعين عاما ومات سنة ١٩٧٦ المذكرات التى سوف تنشرها ابنتها عنوانها : ديتريش . . أمى . تحاول الممثلة الجميلة ، أو الملاك الأزرق كما كانوا يسمونها أن تلجأ إلى القضاء لتمنع ابنتها من نشر فضائحها وكانت الأم قد اتفقت مع ابنتها ألا تنشر شيئا قبل وفاتها . . ابنتها تملك كل الوثائق الخاصة بالأم ، أهم ما تملكه الابنة صور الأم مع هتلر ثم خطابات الأديب الامريكى همنجواى إلى أمها . . وقد طلبت منها ألا تنشر هذه الخطابات إلا بعد موته هو . . وطلبت الأم من ابنتها ألا تنشر شيئا قبل وفاتها . .

وفى هذا الكتاب حكايات وغراميات الأم مع كل النجوم الذين ظهرت معهم على الشاشة مثل جون وين وجارى كوبر . .

ولكن أهم ما فى الكتاب العلاقة الغرامية بين مارلين ديتريش وهتلر . . فقد أحبها هتلر وتعلق بها وكان يراها سرا . .

أما ابنتها فهى مضطرة لنشر هذا الكتاب لأن زوجها كان مصمم أزياء ناجحا ولكنه مريض الآن فحاجتها إلى المال شديدة.

ومارلين ديتريش عندها مشكلة أخرى وهى أن سكرتيرها الخاص سوف ينشر عنها كتابا يقول فيه إنها سيدة جشعة صغيرة بخيلة . . وأنها موسوسة ومجنونة نظافة . . فهى طول الوقت تغسل يديها وأسنانها . . ولكن هذا الكتاب ليس فاضحا مخجلا كالكتاب الذى سوف يظهر لابنتها ، تقول مارلين ديتريش : إن الفلك دوار . . فقد كنت على استعداد أن أبيع أى إنسان من أجل الفلوس ، وهذا بالضبط ما تفعله ابنتى !!



من الشخصيات التى لا يمكن نسيانها شخصية وملامح الزعيم البريطانى تشرشل .. قصير ممتلئ وملابسه مبهدلة وفى فمه سيجار طويل ويرفع إحدى يديه بعلامة النصر .. وهو الرجل الذى قاد بريطانيا إلى النصر فى الحرب العالمية الثانية .. وكان خطيبا فصيحا .. وله عبارات باقية مثل : الستار الحديدى .. وإذا جاء هتلر فنحن فى انتظاره .. وأن هذه بداية النهاية ، ونهاية البداية .. ومئات العبارات البليغة ..

ثم إنه حصل على جائزة نوبل فى الأدب عن أعماله الأدبية مثل : الحرب العالمية الثانية وتاريخ الباحثين الانجليز..

ثم إنه كان مشهورا بالوسوسة .. وأكثر من ذلك أنه كان يعالج أصدقائه .. هو الذى يختار لهم الأدوية وهو الذى يشخص مرضهم حتى فى حضور الأطباء .. بل إنه يمزق روشتات الأطباء .. وخصوصا إذا كانت الأمراض تتعلق بالمعدة والأمعاء والأرق!

وكتب تشرشل مذكراته مفكرا وسياسيا ورساما .. وكتبت زوجته مذكراتها .. وكتب أولاده أيضا .. ولم يبق فى حياة تشرشل شىء يمكن أن يقال ..

ولكن أحد الباحثين استطاع أن يجد جوانب لم تكن معروفة فى حياة تشرشل سوف يجعلها المسلسل التليفزيونى الذى سوف يذاع عند نهاية الشهر ، موضوعها : غراميات تشرشل!

فتشرشل كان له قلب أيضا !

وكان تشرشل يحب الجمال والجميلات . . ولم يستطع أن يخفى إعجابه بعدد من الجميلات – وفى نفس الوقت ظل مخلصا لزوجته خمسين عاما!

وظلت العلاقة بينهما غريبة . . فهو لا يستطيع أن يدخل غرفتها إلا بإذن منها . .

ثم إنه يكتب لزوجته خطابات كثيرة ، وترد عليه بخطابات طويلة وهما يقيمان فى نفس البيت . . وتوقع هى على خطاباتها كلمة : قطة . . ويوقع هو بكلمة : خنزير . .

أحب بنت اونا سى – زوجة المليونير اليونانى الذى تزوج جاكلين كيندى ، وقد صرح بحبه لها وقال : لها عينان وشفتان ومشية لا يقاومها إلا واحد مصنوع من الحديد والحجر ! ثم أحب فتاة أمريكية كانت مندوبة إحدى دور النشر واسمها وندى ريفز . وكان يحب فيها بساطتها ورفع الكلفة بينهما . . تماما مثل السيدة الأمريكية التى أحبها الملك ادوار الثامن وترك العرش من أجلها . . أحب فيها بساطتها . . وهذه الفتاة الأمريكية التى أحبها تشرشل ظلت على صلة قوية به بعد أن انفضت الدنيا من حوله . . ظلت هى تخرج معه وظلت تحمل لوحاته الفنية . . وكان يسافر إلى جنوب فرنسا لكى يراها ويتمشى معها – وقد تضايقت زوجته عندما عرفت أن العلاقة حب! ثم كان مفتونا بالممثلة البريطانية

الرائعة بطلة «ذهب مع الريح» فيفيان لى وكان يدعوها هى وزوجها . . وكان مبهورا بملابسها الجميلة .

أما الفتاة بو زوجة صاحب شركة الشمبانيا فكانت لا تقاوم بكل المعانى . . جميلة الوجه ساحرة العينين لها صوت نادر . . كانت تحب معاكسة الرجال . . وكانوا يتزاحمون حولها . . ولكنها كانت معجبة بتشرشل وتحبه أكثر من أى إنسان . . فأطلق اسمها على أحد خيوله . . وعندما يقام السباق كان يدعوها لترى الحصان التى تيمن باسمها . .

أما سكرتيرته الليدى وليامز فتؤكد أن تشرشل يحب زوجته . . وكان منظرا فريدا أن يرى الناس رجلا فى الثمانين يعانق زوجته شوقا إليها . .

وقد رأت الممثلة جريتا جاربو تشرشل وزوجته أثناء العشاء فى ضوء الشموع فقالت تعليقا على ذلك : إنهما مراهقان . . فنظراتهما تقول كل شىء . .

إلى جانب أنه كان أنيقا كان يحب أحسن شمبانيا وأحسن سيجار . . ويحب أن يتحدث إلى الناس ، فأعظم وأجمل أفكاره جاءت وهو يتكلم . . وهو لا يكف عن الكلام !

واحد أحب ؟!

خبر اليوم : لى صاحب غنى جدا أحب !

والخبر ليس أنه غنى جدا . . ففى الدنيا أغنياء كثيرون ، ولكن الخبر هو أنه أحب . وهو لم يعرف الحب . . ولا يعرف من كل أعضاء الجسم هذا القلب . . وإن كان صاحبى هذا يكثر من استخدام كلمة القلب . هو باعترافه هو كذاب . . ولكن فى بعض الأحيان لا تطاوعه يده وهو يضعها على قلبه . . فتجد نفسها على الناحية الأخرى من الصدر . . كذب ولم تستطع أن تكذب . . والقرآن الكريم بين لنا : أن أعضاءنا سوف تشهد علينا يوم القيامة . . وقد عرف الآن ما سوف تقوله يده يوم القيامة!

أحب . صاحبى . غرقان فى الحب . كيف حدث ذلك وهو لا يعرف . . إنه جلس وحده . وراح يفكر من أين دخل هذا الفيروس إلى جسمه . . أو إلى نفسه . . أو إلى عقله . . إنه لا يعرف . فهو لم يفكر فى الحب قط . ولا رآه ضروريا . وهو لا يعرف ما يقوله الناس عادة فى مثل هذه الظروف .

وسألنى ماذا أعمل ؟

قلت : ماذا تريد أن أعمل ؟

قال : أريد أن أراها .

- اطلبها .

- وماذا أقول لها . .؟

- ما الذى تريد أن تقوله لها ؟

- أريد أن أقول لها أننى انشغلت بها فجأة .

- كيف انشغلت بها ؟

- أنا أقول لك . . كان عندنا اجتماع طويل . . وكان لا بد أن اتخذ قرارا نهائيا فى مشروع . . ونجحت فى إقناع جميع الأعضاء . ونسيت المشروع . . وسوف يكون عائد علينا حوالى المائة ملون دولار . . وفجأة ومن غير مقدمات . . ولا أعرف كيف حدث ذلك . . ظهرت صورتها أمامى . . وانزعجت فلم يكن هناك ويستحيل أن يكون بيننا فهى موظفة صغيرة فى الشركة . . ولم أرها إلا مرة واحدة فى الأسانسير . .

هذا كل ما حدث . . وبدأت أفكر فى هذه الحادثة وأتساءل . . وكلما فكرت فيها انشغلت بها أكثر . . حتى أصبحت صورتها ملحة على خيالى ليلا ونهارا . . ولذا طلبت دوسيهات جميع الموظفين . . لأرى دوسيهها . . هل تعرف ماذا حدث ؟ سرقت صورتها من الدوسيه والصورة فى جيب . . عيل ؟ مجنون؟ قل لى يابتاع الحب اسمه إيه اللى أنا فيه . . قل لى كمان أعمل إيه؟

- أقول لك . . أنت غرقان فى الحب . . حب من أول نظرة . . وحب من أول درجة . . والحب الذى يصيب الإنسان فى مثل

هذه السن هو الحب الذى إذا دخل فلا يخرج إلا مع الروح .. أهنئك يا حبيبى !

- بس .. هو ده كل اللى أنت قدرت عليه .. قل لى أعمل إيه ؟

- تزوجها !

- مجنون أنت ؟

- لا مش مجنون .. أنت اللى مجنون إذا ثبت على هذه الحالة .. تزوجها .. وأسعدها وأهلها وكل الناس فى سنها .. وأسعد نفسك فإن أحداً لن يتفرغ لإسعادك .. أقول لك تزوجها .. وأنا سوف أنقل لها هذا الخبر الذى يهز الجبال .. قابلتها . ورأيتها . سمعتها .. عرفت ظروفها .. الفتاة متوسطة الجمال .. قوية الشخصية .. ظروفها الاجتماعية سيئة .. ولكنها لا تشكو ، وقررت ألا تتزوج أحدا قبل ثلاث سنوات عندما تتخرج أختها الصغرى ، ولم تعد أحدا بالزواج .. ولا تستطيع ..

قلت لها : عندى لك خبر .

قالت : وأنا عندى لك خبر .

- خبر يهز الجبال ..

- وعندى لك مفاجأة تهز الجبال مرة إلى اليمين ومرة إلى اليسار ..

- ما هو الخبر ؟

- إنه نفس الخبر الذى جئتنى من أجله ..

- معقول ؟

- طبعا . . لقد حدثنى امس . . وكانت أعظم مفاجأة فى دنياى . . واتفقنا . .

- مبروك . . ومتى الخطبة . . والزفاف .

- لابد أن أسأل أختى .

- أختك؟ وأختك مالها ؟

- إنها هى التى سوف تتزوج ابن عمها .

- لا . . لا . . أنا عندى لك الخبر الأكبر والأعظم . . زواجك أنت . .

- أنا؟

- أيوه من فلان . .

- يعنى ايه ؟

- قولى موافقة . .

- وهل أستطيع أن أقول إلا نعم . . وألف نعم . .

- الف ؟ قولى مائة مليون نعم يا عروسة !

- . . الفلوس أحيانا لها قلب . . قلب شاب مراهق - هذا ما حدث !



رجلان شغلا العلم والفن والتاريخ والجغرافيا فى العام الماضى .. الرجلان ماتا من وقت طويل .

الأول موتسارت مات من مائتى سنة .. وقد انتهز العلماء هذه الفرصة لإعادة البحث فى مخلفات الرجل .. فاكتشف واحد أن أذنى موتسارت كانتا أكبر مما يجب .. وأن ابنه قد ورث عنه هذه الصفة .. وكان موتسارت قصير القامة .. ويقال إنه دون المتوسط .

ويقال : قزم .. فالفيلم الذى صدر عنه بعنوان (أماديوس) قد اختير ليقوم بدور البطولة رجل قزم بارع فى العزف على البيانو وقيادة الأوركسترا .

أى أن المؤرخين يريدون أن يقولوا : إن العبقرى يجب أن يكون فيه نوع من الشذوذ .. كأن يكون طويلا جدا أو قصيرًا جدا .. أو يعيش طويلا جدا أو يموت صغيرا ، موتسارت مات قبل أن يكمل الخامسة والثلاثين .

ثم إنه كان يخاف من رقم ٣٧ - لماذا ؟

هذه قصة أخرى .. ولذلك كان موتسارت عندما يكتب رقم ٣٧ على أية صفحة .. لا يضع فى نهاية الكلمة الإيطالية بمعنى

(النهاية) وإنما كان يضع الكلمة اللاتينية .. أو يتركها دون أن يذكر أن الصفحة قد انتهت .. فقد كان يشعر بالنهاية .. وبالموت بصفة خاصة !

وقد احتفلت النمسا بموتسارت هذا العام فجعلت اسمه على كل طعام وحلوى .. ثم إن الموسيقى كانت تنبعث من كل مكان ليلا ونهارا حتى ضاق بها الناس !

ولذلك رأينا أحد الفنانين التشكيليين قد احتفل بموتسارت بطريقته الخاصة وفى نفس الوقت كان يسخر من الحفاوة الغذائية بالموسيقار العظيم .. فقد جمع حول التمثال عددا هائلا من السلال المعدنية حتى بدا التمثال مخنوقا تحتها .. ورأى أن هذا الذى عمله هو تمثال جديد لموتسارت .. وضجت الهيئات الدولية لهذا الاحتقار للموسيقار العظيم .. واعتذرت الحكومة النمساوية عن ترك هذه الإهانة للفنان العظيم .. وأزالت السلال المعدنية .. واحتج عدد كبير من الفنانين لتدخل الدولة فى حرية التعبير !

أما الرجل الثانى فهو الذى عثروا عليه فى الجليد .. لقد رآه بالصدفة اثنان من المتسلقين .. فتوقفا عند ذراع خرجت من تحت الجليد .. وأبلغا البوليس الذى ظن أنه أحد الذى سقطوا من فوق الجبل .. وأخرجوا الجثة .. وظنوا أول الأمر أنها لمجرم هرب من البوليس من حوالى ٥٠٠ سنة .. ولكن علماء الآثار وجدوا أنها ليست جريمة .. وإنما هو مواطن مات من أربعة آلاف سنة .. وأن جسمه سليم .. فيما عدا أحد جانبى الساق قد أكلته الذئاب .. ثم إن على ظهره نوعا من الوشم .. وكان يتغطى بفراء محشو بالقش الجاف .. وكان البالطو الجلدى مشغولا بخيوط جلدية

رفيعة . . وكان يحمل فأسا من الخشب لها حد من البرونز . . وكان له حذاء من الجلد محشو بالقش . . وكان معه سكين وكان يحمل عصا مدببة . . لعله كان يستند إليها فى صعوده . . ثم إن الرجل كان وحده . . ولا ندرى ما الذى جعله يصعد الجبل وحده . . وما الذى كان يصيده . . ولماذا كان وحده . .

إن العلماء يحللون جلده وعظامه يريدون أن يعرفوا كيف كانت الحياة فى ذلك الوقت . . ماذا كان يأكل ويشرب وما أمراضه إن كانت هناك . . إن أسنانه تدل على أنه بين العشرين والأربعين .

ومن المؤكد أن الجليد قد احتفظ به كل هذه الفترة الطويلة تماما كمواد التحنيط الفرعونية التى كانت تستخدم فى نفس الوقت . . فالتحنيط الفرعونى لغز لم يهتد إليه أحد . . وفى المتحف الطبيعى فى فيينا مومياء لأميرة فرعونية عاشت وماتت فى نفس الوقت ولكنها سليمة تماما .

إن الرجلين ماتا عند القمة وفى نفس السن . . وكلاهما كان يحمل رسالة .

أما رسالة موتسارت فعرفناها . . أما رسالة هذا الرجل الجليدى فلا يزال البحث مستمرا فى كل عواصم الدنيا لفك رموزها !

موسى صبرى

عاش شجاعا ، مات شجاعا : موسى صبرى

لقد شهدت أول «آه» قالها موسى صبرى .. كنا نتعشى .. وكان المرح والخفة والرقص والطبل والزمر والنكتة .. وكان موسى يضحك .. وفجأة قال : آه .. دماغى صداع !

وتطوع الكثيرون يقترحون أشكالا وألوانا من أدوية البرد والصداع والضغط .

وكنت من بين الذين يتهمون موسى بأنه رجل موسوس .. وأن الذى يشكو منه ليس إلا ارتفاعا مفاجئا أو انخفاضا فى الضغط .. وتحولنا جميعا إلى أطباء :

هل كان نومك هادئا أمس ؟

هل عندك إمساك؟

هل تشكو من الصداع كثيرا ؟

ما هى المسكنات التى تتعاطاها ؟

وتبارى الحاضرون فى إعطائه ما معهم من أقراص .

ولم أشأ أن أسأل عن صحته فى اليوم التالى .. فليس إلا صداعا .. ومن الذى لا يصيبه الصداع .. وخاصة إذا كان الطبل

عاليا والزمر كثيرا والجو مشحونا بدخان السجائر .. وموسى يدخن مدمن مسرف .. وقد نصحه الأطباء فى مصر وبريطانيا والسويد وفرنسا وأمريكا أن يكف .. فقرر ألا يكف .

وعلمت أنه ذهب إلى د . خيرى السمرة عميد طب القاهرة وأستاذ جراحات المخ ، وأعطاه دماغه وصوره .. ولم يجد فى المخ شيئا .. ولكن الصداع مستمر .

وسمعت أنه ذهب إلى أطباء آخرين .. وأنه تمدد تحت الأشعة وأنها دارت حوله وتعمقت قلبه ورئتيه ومخه .. ولم يجدوا شيئا .. فالرجل مرهق .

ولكن الصداع اشتد .. واقترحوا عليه مستشفيات عالمية كثيرة .. واختلف العلماء وبعضهم اتهم البعض الآخر بأنه حمار لا يفهم .. وأن التشخيص المصرى هو التشخيص .. ثم ذهب إلى فرنسا ليقول إن التشخيص الفرنسى هو التشخيص .. وأن الأطباء الذين عالجوه فى باريس هم من أصدقاء د . بطرس غالى .. وذهب إلى أمريكا فقال : إن التشخيص الأمريكى هو التشخيص وهو آخر كلام !

وعرفت من الطبيب المرافق له أن المسألة أخطر جدا مما يقال ومما يجب أن يقال له .. والأمريكان يرون أنه يجب أن يعرف .. المريض يجب أن يعرف ماذا عنده وإذا عاش فكم شهرا وكيف يكون ذلك .

واستسلم ولكن الألم أقوى من احتماله .. وطلب الموت بلا ألم .. ولم يفز بالموت .. وإنما بالحياة التى هى ألم فى ألم .. ووجع فى وجع .. وودع نفسه والناس .. واستعجل الموت ففكر

فى الانتحار . . وتراجع وتردد . . فعنده أمل ، كما أننا عندنا أمل فى رحمة الله .

وأكثرنا خاف أن يراه . . خاف أن يرى الحياة قد غابت والحيوية قد جفت والذكاء قد خبا ، وأن النهاية تضىء الأنوار والأبواب والنوافذ لينزل الستار على واحد من ألمع الصحفيين المصريين وعلى أب حنون على زملائه وإخوته وأبنائه من الصحفيين .

ولم تغب روح الفكاهة والدعابة حتى الساعات الأخيرة . . أن هذه الدعابة هى أقصى درجة يمكن أن يبلغها الاعتزاز بالنفس . . وهى آخر معاقل الكبرياء .

لم يصدقنى موسى صبرى عندما صارحته سنة ١٩٤٨ بعد أن قرأت له مقالات أدبية فى جريدة الأساس التى كنا نعمل بها سويا : إن استعدادك أدبى مائة فى المائة !

أى كأننى أنصحه ألا يمشى فى سكة السياسة . . ولكنه كان سياسيا . . محبا لها ومتابعا لمصادرها ورجالها . . فأدخلوه السجن . . ولم يخرج منه . . فظل طول عمره يحاول أن يرفع القضبان من دماغه ومن قلمه ومن حياته .

ولم ينتظر موسى أن يكتب عنه أحد أو يرثيه أو يقول من هو ومن أين جاء وكيف كان . . ففى يوم مماته صدر آخر أعماله الصحفية والسياسية كتاب فى ألف صفحة بعنوان (مذكرات موسى صبرى - ٥٠ عاما فى قطار الصحافة) . . وقف قطار الصحافة أمام بيته . . ولم يكن إلا موسى صبرى نفسه - يرحمه الله ويلهم أبناءه وأحبابه الصبر على فقده والسلوان على غيابه!



الحكمة تقول : رب ضارة نافعة !

فى سنة ١٩٥٦ أتى بعض العلماء الأمريكان بعشرين ملكة من ملكات النحل الأفريقى . . يريدون تهجينها - أى تهجين الملكات بذكور أوروبية - ليروا ماذا تكون النتيجة .

أما النتيجة فقد تولد نحل جديد . . أصغر حجما وأكثر نشاطا وإنتاجا .

ولكن هذا النحل الجديد له مشكلة ، فهو يتحرك بالملايين مرة واحدة ويلدغ الحيوانات وتؤدى سموم النحل إلى القضاء على الأغنام وأحيانا الخيول والأبقار . . لسعة النحل الوحدة لا تؤذى إلى هذه الدرجة ، ولكن عندما تكون ارتال النحل بالملايين فإنها قاتلة ولا شك؟

وحاول العلماء أن يخففا من حدة هذا النحل فلم يفلحوا . . وقد حاولوا (تهجين) هذا النحل بأنواع أخرى من الصين ، فخرجت أجيال جديدة أكثر شراسة .

أما المشتغلون بصناعة عسل النحل ، فقد وجدوا حلا . . فهم يتركون النحل يلدغهم مرة وثلاثا وأربعا . . وبذلك تكون لديهم

مناعة ضد سموم النحل .. ومن المعروف أن سم النحل يشفى من الذبحة ويشفى من آلام الروماتيزم .

ولذلك فأكثر الشركات الطبية فى العالم تستخرج سم النحل وسم العقارب والعناكب لعلاج كل أمراض الدم فى الإنسان .

والأمريكان يستخدمون نفس الطريقة الفرعونية فى تخصيب الزهور .. فالفراعنة كانوا يأتون بملايين النحل فى السفن .. ويقفون بها عند المدن فينطلق النحل إلى الحقول يمتص رحيق الزهور ، وينقل حبوب اللقاح فى أجنحته وأقدامه إلى الزهور .. وبعد يومين أو ثلاثة تنتقل السفينة من مدينة إلى مدينة .. وهذا بالضبط ما يفعله الأمريكان .. فكل صاحب حديقة يتفق مع شركات النحل على حاجته إلى كذا مليون نحلة لتخصيب حديقته .. فتجىء الشركة بالنحل المطلوب فى سفينة أو فى سيارات ضخمة .. ثم تتوقف عند الحديقة .. وتطلق النحل عليها يمتص الرحيق ويفرزه .. وفى تنقلاته ذهابا وإيابا ينقل حبوب اللقاح .. وبعد أن ينتهى التلقيح ، تتحرك السفن أو السيارات الضخمة إلى حدائق أخرى ..

أما المشكلة التى تواجه (النحل القاتل) أى النحل الذى جاء من أمهات أفريقية ، فهو أنه يكره رائحة الحيوانات .. ولذلك فأول ما يتجه إليه النحل هو الهجوم على الحيوانات الموجودة .. ومن الغريب أن بعض النحل يظل واقفا بالقرب من الحيوانات التى قتلها حتى يتأكد من أنها ماتت فعلا .. فإذا كانت الحيوانات لم تمت عاد النحل إليها بالملايين وقضى عليها .. ولذلك فأول ما يفعله خبراء النحل هو إخلاء المناطق التى يتوقعون

أن يغـزوها النحل من الحـيـوانات والأطفـال .. ولكن النحل الأفريقى هذا لا يزال طليقا ، لم تفلح الشركات فى تدجينه - أى جعله داجنا وديعا - والفلاحون فى المكسيك والبرازيل يعرفون موعد هجمة النحل القاتل فيطلقون الدخان من حظائر الحيوانات فلا يقترب منها . .ومن الضرورى أن يكون الدخان ضعيفا جدا ، حتى لا يؤدى الدخان الكثيف القوى إلى هرب النحل من كل المنطقة ، فلا يمتص الزهور ولا ينقل إليها حبوب اللقاح .. وقد ظهر نوع جديد أكثر شراسة من هذا النحل .. فهو يقتل النحل الآخر .. يقتل الذكور بوحشية .

والعلماء يدرسون الآن كيف يمكن تحويل هذا النحل المتوحش إلى نحل مستأنس .. والشىء الوحيد الذى يمنعهم هو أن هذا النحل القاتل يعتبر من أكثر أنواع النحل إنتاجا فى العالم كله .. لأن النحل العادى تنتج خليته عشرين كيلو جراما من العسل .. أما النحل القاتل فتنتج الخلية الواحدة سبعين جراما من العسل ذى الرائحة العطرة !

ولذلك سوف يتركه العلماء قاتلا ، ما دام إنتاجه غزيرا !

وقد ظهر النحل القاتل أخيرا فى العراق ثم فى ليبيا .. ولعله فى طريقه إلى مصر .

توت عنخ آمون

من سبعين سنة اكتشف العالم الأثرى البريطانى «كارتر» مقبرة الملك الطفل توت عنخ آمون .. وعندما اكتشفها سأله الرجل الذى يدفع تكاليف بعثة الحفر وهو لورد كارتر فون : ماذا ترى؟

قال : أرى أروع ما وقعت عليه عين إنسان!

وكان «كارتر» على حق ، فكان ينظر من ثقب فى مقبرة الملك الصغير الذى توفى سنة ١٣٥٢ قبل الميلاد عن ١٨ عاما .. ولم تكن لهذا الملك الصغير غير مقبرته التى لم نر لها مثيلا .. فقد اكتشفت وكأن لم ينقص منها شىء .. أى أن اللصوص لم يهتدوا إليها .. وعدد القطع الثمينة الذهبية والنحاسية والفضية والتى من المعادن الكريمة وأدوات الزينة والطعام بلغت ٢٠٠٠ قطعة .

وإذا كان هذا الملك الهزيل قد وضع كل هذه التحف فى مقبرته . فكم وضع الملوك العظام ؟ لابد أنهم حشدوا فيها ثروات من الذهب والفضة والأحجار النادرة ، أضعاف أضعاف ما تركه الملك توت .

ولكن اللصوص كانوا يترصدون مقابر الملوك .. فلا يكاد الملك

يدفن حتى ينقض اللصوص المدربون تدريبا جيدا على كنوز هذا الملك .

وكل يوم نكتشف أن الملك الصغير لم يعش ويمت فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد . . وإنما كان معاصرا لنا تماما .

وقد كتبت الأديبة الوجودية «سيمون دى بوفوار» عن زيارتها لمعروضات الملك توت فى باريس فقالت : إن السبب فى زحام المعرض وإقبال الشبان على رؤيته ، هو أنهم يجدون أنفسهم فيه . . فهم صغار مثله . . ومن الصعب أيضا أن تعرف إن كان الملك توت شابا أو شابة . . أو هما معا . . وكذلك الشبان الذين يتفرجون عليه . . إنهم خنافس مثله!

وفى الأسبوع الماضى ظهر كتاب للعالم الأثرى الألمانى «كارل ايزنبرج» عنوانه (ما لم تجده فى مقبرة الملك توت) .

أما الذى لم تجده فهو العقاقير التى كان يتعاطاها الملك الصغير . . أما هذه العقاقير فقد اهتدى إليها العالم الألمانى من تحليل الأربطة فوق جسم الملك . . ومن نسيج أخذه من المومياء . . (المومياء كلمة فارسية) . . فقد أكد العالم الألمانى وهو كيميائى أولا وباحث فى الحفريات ثانيا : إن الملك الصغير كان يتعاطى أقراصا للحموضة . . وأنه يشكو من معدته . . ومن سوء الهضم . . وأنه لا يستبعد أن يكون الملك قد مات مسموما ؟

ويقول أيضا إنه ظهرت فى عهد الملك توت موضة وضع أحمر الشفاه للرجال . . أو أنه كان يحب أن يضع الأحمر فى شفتيه والسبب هو أنه كان يبدو أصفر شاحبا . . وأنه كان يخفى بذلك

مرضه .. فالملوك الضعاف لا يحبون أن يبدوا كذلك أمام الشعب .. لأن الشعوب تستمد قوتها من عظمة الملك وأبهة التاج .

ويقول الأستاذ «ايزنبرج» إنه رغم التأكيدات العلمية بأن شيئا لم يسرق من مقبرة الملك توت ، فإنه يعتقد أن بعض الأدوات الطبية قد سرقت .. وخاصة (الحقنة الشرجية) .

فقد كانت هذه الحقنة أهم ما يعتمد عليه المصرى القديم .. وقد تعلم المصريون القدماء الحقنة الشرجية من (أبى قردان) فطائر أبى قردان عندما يصاب بالإمساك فإنه يملأ منقاره بالماء ثم يدخله فى مؤخرته .. ويؤكد أن مكان هذه الحقنة الشرجية موجود وواضح إلى جانب أدوات الطعام والتجميل .

ولديه أفكار أخرى لم يتأكد من صحتها وسلامتها .. ولذلك فالباحث الألمانى يطلب أن نعطيه بعض الوقت فسوف يذهل العالم باكتشافات جديدة فى مقبرة الملك الصغير !

١٩٩١

سألونى فى التليفزيون عن رأيى فى سنة ١٩٩١ . فقلت إن رجلها الأول هو بوش الذى أدار أزمة الخليج كما لم يفعل أحد من قبل . فهو أعظم من أدار أزمة كبرى دون غلطة واحدة . وخرج جميع الأطراف سعداء - بما فيهم صدام الذى لم يمت حتى الآن !

وجورباتشوف ليس هو بطل عام ، وإنما هو بطل هذا القرن . وحتى لو مات الآن ، فقد أكمل دوره وانتهى . ولذلك كنت أول من تنبأ بأن دوره انتهى فى أوائل العام الماضى . . فلم يحدث فى التاريخ أن حرر إنسان مئات الملايين العبيد ، كما فعل جورباتشوف دون حرب .

وقلت هناك فرق بين الحادثة والحدث . . الحادثة هو سقوط طائرة أو نجاة طائرة . .

والحدث أن يكون من ركاب هذه الطائرة جورباتشوف أو بوش - فهذا حدث جليل !

وقلت من أهم أحداث ١٩٩١ اكتشاف العلماء الإنجليز لعلاج لمرض نقص المناعة (الإيدز) . فقد أعلن العلماء فى بريطانيا أنهم فى الطريق إلى الاكتشاف وأنهم بعد سنتين سوف يكونون قد عثروا على دواء ناجح لهذا المرض الوبيل . . وسوف يكون هذا الدواء فى خطورة البنسلين المضاد الحيوى والأنسولين لعلاج مرض السكر . .

وإن كان رجال الدين تعساء لاكتشاف هذا العلاج ، لأن الإيدز قد أخاف الناس وفرض عليهم الفضيلة . .

وقلت من حوادث العام الماضى وفاة الموسيقار محمد عبد الوهاب . فوفاة عبد الوهاب ليست حدثا تاريخيا . وإنما هى حادث عادى جدا فالرجل فى التسعين وقد حصل على كل شيء فى الدنيا : المال والمجد وطول العمر . فوفاته عادية . . لأن الفنان لا يموت ففن عبد الوهاب سوف يعيش بعده .

قال شوقى فى مسرحية «مصرع كليوباترا» :

نحن فى الحب حديثا بعدنا .

وعبد الوهاب مات لزوجته ولأولاده ولأصدقائه . أما عبد الوهاب الفنان فلا عمر له - إن الفنان تكتب له شهادة ميلاد - ولا يكتب له تصريح بالدفن .

فشخص الفنان يموت ، وشخصية الفنان لا تموت !

واختيار بطرس غالى حادثة عادية ، فهو قد كوفئ على كفاءته وعلمه وسمعته الطيبة باختياره سكرتيرا عاما للأمم المتحدة . . ولكن تصبح هذه الحادثة حدثا تاريخيا إذا استطاع بطرس غالى عن طريق منصبه أن يحقق معجزات السلام والوفاق بين الدول . . وبين العرب وإسرائيل ، بين الجمهوريات اليوغوسلافية . . أو بين الجمهوريات حديثة الاستقلال فى الاتحاد السوفييتى .

وميلاد أى طفل فى أى مكان فى العالم الآن حادثة . . ولكن إذا قدر لواحد من هؤلاء أن يحكم نصف الدنيا ، فإن ولادته تعتبر حدثا جليلا .

وسئلت على المستوى الشخصى عن رأيى فى عام ٩١ . . قلت الحمد لله لقد انتهى العام وأنا لا أزال حيا . . فما دام العام انتهى وأنا لم أنته ، فهو عام سعيد !

الإنسان كما هو!

كان من أمنيات الفيلسوف الفرنسى أرنست رينان أن يولد فى نهاية العالم . لكى يعرف كيف استطاع الإنسان أن يحل مشاكله المعقدة ، مع نفسه ومع غيره ومع قوى الطبيعة .

والفيلسوف الفرنسى يتصور أن الإنسان سوف يتغير إذا تغيرت المشاكل التى حوله .

والحقيقة أن الإنسان من ألوف السنين لم يتغير وإنما تغيرت الأدوات التى يستخدمها فى الحياة . فبدلاً من تناوله الطعام بيديه فإنه يتناوله بالمعلقة . . وبدلاً من أن يأكل طبقا من الخضار فإنه يبتلع حبة فيتامين . . بدلاً من أن يمشى على قدميه فإنه يركب الطائرة وبدلاً من أن يزعق بصوته فإنه يتكلم فى التليفون . . وأحيانا يستغنى عن التليفون بالتلكس أو الفاكس . . وبدلاً من استخدام عينيه فإنه يستخدم المراصد والكاميرات التى تطل من سفن الفضاء .

ولكن الإنسان هو هو . . طماع خواف جشع . . وبعد أن انتقل الإنسان للدوران حول الأرض وحول الكواكب الأخرى فإنه بدا يتكلم عن «حرب النجوم» . . أى أنه سوف ينقل الحرب من

الأرض إلى الكواكب الأخرى . . فهو قد ترك الأرض ليعود إنسانًا جشعًا حول الأرض . .

والإنسان الذى هبط على سطح القمر ، وهو إنجاز علمى عظيم جدًا . هذا الإنسان ما الذى فعله قبل صعوده فى المركبة الفضائية ونزوله بالمركبة القمرية . . لقد ذهب هو وزوجته ليصليا ، وأعطته زوجته منديلاً يلفه حول رقبته لينقذه عند المصائب .

فركب الصاروخ وهو مؤمن إيمانًا تاما بأن هذا المنديل المعجزة هو الذى سوف ينجيه من المهالك . . تصور؟

مع أن هذا الإنسان قد أحيط بمئات العقول الالكترونية التى ترصد أنفاسه ونقط العرق على وجهه . . ويقول له : انهض . . ثم . . كل . . اشرب . . اربط جوربك . . اربط عنقك . .

وهناك عشرات الألوف من الخبراء فى محطات المتابعة الأرضية فى القارات الخمس وكلها تعمل من أجل سلامته . . وقد دفعت أمريكا ألف مليون دولار من أجل تراب جزمته . . أى التراب الذى يعلق بجزمته لأنهم سوف يحللونه ليعرفوا طبيعة تراب القمر . . وهل يمكن أن يعيش الإنسان هناك؟

ولكنه رغم كل هذا التقدم العلمى الجبار ، يعتقد أن منديل السيدة حرمه هو الذى سوف يمد فى عمره؟!

إنه الإنسان على الأرض ، هو نفس الإنسان فى الفضاء .

إنه مثل كولمبوس الذى اكتشف أمريكا من خمسة قرون فعندما ذهب إلى العالم الجديد ، بعقلية العالم القديم . . فقتل وانتهك

الحرمات وسفك الدماء . . لقد ذهب سفيرا للمتوحشين الأسبان الذين أراقوا دماء المسلمين واليهود أمام محاكم التفتيش فى مثل هذا اليوم من خمسة قرون . إن عبور الأطلنطى - كالدوران حول الأرض وحول الكواكب - لم يغير من طبيعة الإنسان !

وأنت إذا نظرت إلى سيارتك الجديدة جدًا ، فسوف تجد السائق أو زوجتك قد علقت بها «خمسة وخميسة» منعا للحسد . . فسيارتك آخر ما وصل إليه العلم الحديث ،والخمسة والخميسة هى أول ما عرف الإنسان . . والسيارة والخميسة فى مكان واحد وينتقلان بسرعة واحدة!!

إن الحضارة الإنسانية هى «تطوير» للأدوات التى يستخدمها الإنسان . . وليست تطويرًا للإنسان . . إن الحضارة الإنسانية هى تطوير للأطراف الصناعية - أى بدلاً من المشى . فقد اخترعنا الطيران وبدلاً من الزعيق اخترعنا التليفون وبدلاً من الرؤية بالعين المجردة اخترعنا التلسكوب والميكروسكوب .

لقد اتجهنا إلى خارج الإنسان . .

أما داخل الإنسان فكما هو . . لم يتطور : إنه متوحش ينتظر فرصة على هذه الأرض أو على الكواكب الأخرى !

ماذا حدث؟

وراء كل عظيم امرأة .

صحيح . . ولكن لا أحد يقول ما الذى تفعله زوجة هذا العظيم وراء ظهره . . هل تدفعه إلى الأمام هل تجرجره إلى الوراء . . إنها وراءه والسلام!

فمن هو صاحب هذه العبارة؟

اعتقد أن صاحبها هو الرجل العظيم نفسه . . وأنها جاءت من كرم أخلاقه . . وإحساسه بأنه كبير جدا ، لدرجة أنه لا يضيره ولا ينقص من قدره ولا من ثروته ولا مكانته أن يقول إن السبب فى كل ذلك هو زوجته !

أما إذا سقط العظيم هذا لأى سبب ، فإنه لن يقول إن السبب زوجته . . ولكن الناس سوف يقولون . .

ولابد أنه من كرم العظمة أن تقول الزوجة إن زوجها وراءها - مثل السيدة مارجريت تاتشر - ونحن لا نعرف ما عظمة زوجها . . ولكنها هى التى تقول . . ولكن «مارجريت تاتشر» عظيمة ، سواء كانت بوقوفها على رجلها ، أو جلوسها .

ويقال أيضا إن السيدة «رئيسا جورباتشوف» هى المرأة التى وراء

«جورباتشوف» . .وفى مذكراتها تؤكد ذلك . . فقد تحابا وهما فى الجامعة . . وهو يدرس القانون . . وهى تدرس الفلسفة .

ومنذ اللحظة الأول أحست أن زوجها مؤهل للزعامة والعظمة . . كيف أدركت؟ إنها فراسة المرأة . . ولذلك طلبت منه أن يتطور بسرعة . . فهو رجل فلاح : طريقته فى الكلام وفى الأكل وفى الشرب . . فهو يتكلم بلهجة ريفية صارخة . . قالت له : لابدمن تغيير هذه اللهجة . ولابد أن يتكلم ببطء . . حتى يفهم الناس الكلام الجميل الذى يقوله . . وقالت له : هات أجمل صوت فى الدنيا وأروع موسيقى فى كاسيت . . ثم اجعل الكاسيت يتحرك بسرعة . . إن هذه السرعة تفسد الكلام الحلو والموسيقى البديعة!

واقتنع «جورباتشوف» وبدأ يتدرب على الكلام الهادىء الواضح .

وقالت له إن ملابسك تبدو كأنك قد استعرتها من أحد أخوتك الأطول والأسمن! ولذلك يجب أن تكون ملابسك مثل بشرتك . . على قدك . . واختارت له بدلا رخيصة الثمن ولكن تفصيلها إيطالى!

وقالت له : ادخر طاقتك . .

أى لا تتكلم طول الوقت . . ولا تسهر طول الليل . . واختر لك عشرة من أهم الشخصيات فى الحزب . . وتحدث إليهم واترك الباقى . . فهم الذين سوف يقولون إنهم قابلوك . . وأنهم أصحاب الحظوة . . وأنهم الصفوة . . وسوف يجعلون لكلامك معنى خاصا . . لأنهم يريدون أن تكون لعلاقتهم بك أهمية خاصة . . ولكن إذا تحدثت إلى الكثيرين فسوف يجدونك إنسانا عاديا فى متناول كل الناس .

عظيم . . الكلام عظيم . . والنصيحة عظيمة والرجل عظيم . . ولكن ماذا حدث بعد ذلك ؟

الناس هم الذين يقولون . . يقولون إنه رجل مثقف جدا . . ونسى أن الشعب السوفييتى غير مثقف ، وأنهم عبيد السلطة . . وأنهم لم يعتادوا على التفكير . . فالدولة تفكر . . والحزب يدبر . . وهم يمشون مغمضين إلى مصانعهم وحقولهم . . ولكن «جورباتشوف» اتجه إلى المثقفين فى الغرب ، ونسى الملايين فى المصانع والحقول والشوارع . . والملايين الروس لا يهمها كثيرا ما قاله عن الانفتاح ولا عن إعادة البناء . . المهم هو الرغيف . . المهم هو الدفء فى الشتاء .

ولكن الناس ماذا وجدوا ؟

وجدوا زوجته فى غاية الشياكة والأناقة وترتدى من أغلى محلات لندن وباريس ونيويورك وبالدولار الأمريكى - ولم يكن مألوفا أن ترى الشعوب السوفييتية زوجات الزعماء إلا فى الجنازات الرسمية . . ولكن رئيسة جورباتشوف» تسافر مع زوجها تماما كزوجات رؤساء أمريكا . . وتتكلم كأنها أمريكية . . وانتشرت الشائعات بأنها تنفق الملايين . . من أين؟ وأنها تتباهى بألوان فساتينها وبلاطيها الفرو وأحذيتها اللامعة . .

وقد أقسم الملايين أنها تضع الماس فى جزمتها(؟!) والناس جياع !!

إنها إذن المرأة التى كانت وراء العظيم «جورباتشوف» . . وقد عرفنا ما الذى كانت تفعله . . كانت هى الأخرى تحفر له قبرا رفيع المستوى - ولكنه قبر !

الاضطهاد الطويل..

اليهود فى العالم كله عندهم شعور بالاضطهاد . . وأن العالم كله يتآمر عليهم . . والعالم كله عنده شعور بأن اليهود بسبب هذا الشعور بالاضطهاد يريدون الانتقام من كل الناس . . فهم مصدر كل الأمراض وكل الأوبئة؟!

والصهيونية ليست إلا مؤامرة عالمية ضد المسيحية والإسلام؟!

واليهود عندهم شعور أنهم الشعب الذى اختاره الله . . وأنهم أسياد العالم كله وفى نفس الوقت فالعالم كله يكرههم .

ولما حاول «هتلر» القضاء عليهم فى أفران الغاز فى ألمانيا وبولندا والنمسا ، فقد قرر اليهود أن ينتقموا من كل النازيين الذين أحرقوا اليهود . . ولذلك أقاموا مؤسسة فى أمريكا مهمتها اصطياد النازيين الذين هربوا من ألمانيا إلى بريطانيا وأمريكا اللاتينية واتخذوا أسماء مستعارة .

وقد استطاعت هذه المؤسسة أن تأتى بهم وتحاكمهم فى إسرائيل أو تقضى عليهم من بعيد لبعيد . . وأهم شخصية خطفوها من الأرجنتين وأعدموها هو «ايخمان» الذين خطفوه من الأرجنتين سنة ١٩٦٢ . . أما قصة الخطف فهى من أروع قصص الجاسوسية حين استخدموا فيها إحدى صديقات «ايخمان» فهى التى دلت عليه . . فنقلوه فى طائرة إلى إسرائيل .

وفى السنتين الماضيتين كانت إسرائيل تحاكم رجلا من أوكرانيا اسمه «دينانبيك» بتهمة حرق وقتل عشرات اليهود فى مدينة تربلنكا . . وأنه قتل بعضهم بيديه وخصوصا الأطفال والنساء .

وظلت المحاكمة والاتهامات ليلا ونهارا ولم يبق إلا التصديق على إعدامه . . وعندما اهتدى أحد المحامين إلى أن المجرم الحقيقى ليس هذا الرجل الذى يبلغ السبعين من عمره . . واتهم المحامى كل شهود الإثبات . . إذ كيف يتعرفون عليه اليوم وهو كهل ، وأيام ارتكب جرائمه كان فى العشرين من عمره . . كيف؟ وانقلبت القضية لصالح المتهم السفاح مصاص دماء البشر . . ليكون هو الرجل البرىء الطيب الذى صبر على التعذيب مؤمنا بعدالة السماء !

هل هذه هى الحقيقة ؟ . . أو أن الحقيقة أن بلد هذا الرجل وهى أوكرانيا أصبحت مستقلة وأن إسرائيل سوف تبعث بسفير وأن يهود أوكرانيا المهاجرين إلى إسرائيل وجدوا أن العفو عن الرجل وتبرئته هى أحسن وسيلة للتقارب مع الدولة الجديدة التى من الممكن تدعيم علاقتها لإسرائيل لتكون قاعدة انطلاق بها إلى بقية جمهوريات الكومنولث .

وفى نفس الوقت وافق مجلس العموم البريطانى على قانون لمحاكمة مجرمى الحرب الموجودين فى بريطانيا وقد حصلوا على الجنسية البريطانية . . ومن المؤكد أنهم شاركوا فى المذابح البشرية فى معسكرات الاعتقال النازية .

ولا أحد يعرف متى يتوقف يهود العالم عن مطاردة النازيين . . ويبدو أنهم لن يتوقفوا عن الحديث عن (الهولوكت) أى المذابح الساحقة لليهود فى ألمانيا . . لن يتوقفوا عن تقريرها فى المدارس

اليهودية فى العالم وفى المدارس الألمانية أيضا . . ولا يوجد تليفزيون فى العالم لا يعرض مرة أو مرتين فى السنة أفلام الهولوكت . . والسبب هو ألا ينسى العالم ماذا حدث لليهود . . حتى يفزع العالم من ظهور «هتلر» جديد . . حتى يشعر الألمان بالندم والذنب بصفة دائمة . .

وكما أن السيدة «مارجريت تاتشر» قد سافرت إلى تشيكوسلوفاكيا واعتذرت لهم باسم الحكومة عن الأخطاء التى ارتكبها البريطانيون أثناء الحرب فإن رئيس ألمانيا ذهب إلى إسرائيل واعتذر لهم . . وكذلك فعل وزير الخارجية . . وكذلك اعتذر «جورباتشوف» للمجر وتشيكوسلوفاكيا عن الجرائم التى ارتكبها «ستالين» عندما اقتحم بالدبابات حرية وكرامة هذه الشعوب .

ومن أغرب ما حدث أخيرا فى إسرائيل أن إحدى الفرق الموسيقية أرادت أن تعزف موسيقى «فاجنر» - عبقرى الموسيقى الألمانية- فاحتج الشعب الإسرائيلى لأن «هتلر» كان يحب «فاجنر» ويرى أنه رائد العداء لليهود .

وكان هذا هو الموقف اليهودى منذ القرن الماضى! وازدادت مقاطعتهم لـ«فاجنر» بعد الحرب .

ولكن العجيب أن «فاجنر» مات سنة ١٨٨٣ أى قبل ميلاد «هتلر» بست سنوات . . ولم يكن «فاجنر» مسئولا عن «هتلر» ولا عن النازية!

وأصر المايسترو الإسرائيلى على أن يعزف «فاجنر» - الذى لم يكن نازيا - ولكن كراهية اليهود له قد اعمتهم عن حقيقة هذا الموسيقار العظيم الذى مات قبل مذابح هتلر بثمانين عاما ؟!

إنها الهرمونات!

فى سنة ١٩٦٤ انعقد مؤتمر (القارات الثلاث) فى كوبا . . وكنت ضمن الوفد المصرى . . ولا بد أن نبيت فى موسكو وبعد ١٧ ساعة نصل هافانا عاصمة كوبا . . وكانت الطائرة كبيرة جدا (من طابقين) متجهة إلى القطب الشمالى . . ووقفت بنا فى مدينة مرمنسك . . ومن نافذة الطائرة لا ترى أية معالم . . فالأرض فى لون السحاب . . بيضاء تماما .

ولا نرى أى شىء لا على الأرض ولا فى السماء . . وهبطت الطائرة وتوقفت . . وعلى اليمين رأيت بيتا صغيرا . . أو أحد الأكشاك الخشبية المضيئة . . وقبل أن تهبط قالوا لنا : إن درجة الحرارة هى ٣٥ تحت الصفر . . ولا تحاول أن تمسك أنفك ولا أذنك بيدك فقد تتجمد وينكسر . . ولا أى شىء . . وإنما اهبطوا واتجهوا مباشرة إلى هذا البيت الخشبى .

إنه بوفيه المطار . . وفى داخل البيت الخشبى وجدنا الروس فى غاية الحيوية والدفء . . والكشك دافىء جدا . . ساخن جدا . . والفرق بين الحرارة فى الداخل والحرارة فى الخارج حوالى سبعين درجة مئوية!

وقد أعدوا لنا شيئين : الشاى الساخن والفودكا . . وأكثر الناس شربو الفودكا التى هى عبارة عن نار سائلة !

ولكن الشىء الذى كان متوافرا بكثرة . . زيادة عن اللزوم هو : الشطرنج . . فعلى كل مائدة ووراء كل مقعد يوجد صندوق للشطرنج . . والناس منهمكون فى اللعب كأنها مباراة دولية . . أو كأنه ليس لديهم شىء يعملونه غير اللعب .

ولما عدنا إلى الطائرة قيل لنا ما ترجمته : إن الرحلة طويلة جدا وليس أمامكم إلا النوم أو الشطرنج . . وكان فى الطائرة عدد كبير جدا من صناديق الشطرنج . . الركاب يلعبون وطاقم الطائرة يلعب أيضا . . وفى كل البلاد الشيوعية لا ينفسون عن حرمانهم إلا بالشطرنج . . فهى موائد من خشب على أرضية خشبية . . كل واحد يستخدم ذكاءه وتجربتك وعلمه فى التغلب على الآخر . . وهى لعبة كأى لعبة . . ورياضة عقلية كأية رياضة أخرى . . ولكن الشيوعيين يرون أن الشطرنج لعبة سياسية أو من الواجب أن تكون كذلك . . وهى بالفعل كذلك . . فاللاعب لا يفكر فى أى شىء ولا يفتح فمه بكلمة وإنما هو غارق فى الصمت . . ويضع غله وقرفه فى القضاء على الجنود والخيول والقلاع الموجودة فى الشطرنج .

وقد تطورت جدا كل الفنون التى ليس فيها كلام يمكن أن يتحكم فيه الرقيب : كل أنواع الرياضات كرة القدم واليد والماء والطاولة والهوكى والموسيقى والرسم . . كلها نشاطات عقلية ليس فيها كلام .

ولم يكن هناك من تفسير لتفوق الدول الشيوعية فى الرياضة والجمباز والشطرنج إلا هذا . . فقد وجهوا نشاطهم إلى حيث لا يستطيع أى إنسان أن يتهمه بالرأسمالية أو الخيانة أو التآمر على الدولة !

ولكن عرفنا فيما بعد أن سبب تفوق الألمان الشرقيين فى الرياضة على الألمان الغربيين هو أن الأطباء كانوا يعطونهم هرمونات . . هرمونات الرجل للفتيات . . ولذلك كانت الفتيات أقوى وأسرع وأكثر عضلات . .ومن المعروف أن اللجان الأوليمبية تحلل دم وبول اللاعبين بعد المباراة . . لتعرف إن كانوا يتعاطون المنبهات الكيماوية . . أما الهرمونات فلا تظهر فى التحليل!

وفى أيام «ستالين» صدرت تعليمات واضحة تقول لابد من (تسييس) الشطرنج . . أى يجب على اللاعبين أن يتأكدوا أنهم يلعبون ويتفوقون من أجل الشيوعية حتى يقال إن الشيوعية هى التى تجعل الإنسان يتفوق فى الملعب . . ويتفوق فى الفضاء أيضا . .فروسيا قد سبقت أمريكا إلى الفضاء الخارجى فأطلقت أول قمر وأول كلب وأول قرد . . ثم جاجارين أول إنسان !

وأمريكا قد تفوقت عليها عشرات المرات بعد ذلك ، ولم يكن السبب سياسيا . . وإنما هى مسألة علمية بحتة!

وقد تفوق الروس فى الشطرنج : والسبب فى ذلك أن البطل الروسى يظهر من بين عشرين مليونا . . وهذا مالا تستطيعه أية دولة فى العالم .

وسوف يهاجر علماء روسيا وباحثوها إلى أوروبا وأمريكا . . فهناك أخيرا حرية التنقل والعمل والهجرة . . وسوف تتغير الحسابات والموازين فى العالم الشيوعى السابق . . ولصالح الغرب الرأسمالى وسوف يلعب الروس السابقون ضد الروس الحاليين ويتفوقون عليهم باسم الحرية والأمان وليس باسم السياسة والرأسمالية !

إنه الخوف!

عندى رأى هو : لو تصالحت كل الدول العربية مع إسرائيل ، انقصف عمرها ، صدقونى . فإسرائيل تضم مائة جنسية وتتكلم سبعين لغة ، وفيها عشرون حزبا دينيا وثلاثون حزبا سياسيا ، وسكانها أربعة ملايين ـ أى عدد الذين يتسكعون فى شوارع القاهرة!

ولا شىء يجمع هؤلاء الناس المختلفين إلا الخوف . . وعدم الشعور بالأمان . . والاتحاد فى وجه الأعداء من العرب ، ولولا الخوف ما اتحدوا فى جيش واحد وفى لغة واحدة ودين واحد ، ولا بد أن تكون الشعوب اليهودية فى إسرائيل قد تعبت من وضع يدها على الزناد خمسين عاما ، رجالا ونساء . . وهم عصبيون جدا ، وحوادث السيارات أكثر من حوادث الحرب ، والذين يموتون فى إسرائيل سنويا بسبب السيارات أكثر من الذين ماتوا فى أية حرب بين إسرائيل والعرب ، واليهود أكثر شعوب العالم تسوسا لأسنانها بسبب توترهم العصبى المستمر الذى يدفعهم إلى الإسراف فى تناول الحلوى . .

وفى إسرائيل تسمع أن فلانا أشكينازى أى يهودى أوروبى ، وفلانا سافاردى أى يهودى شرقى ، والأوروبيون هم الذين يحكمون

وهم الذين يفوزون بنصيب الأسد . . والشرقيون فى القاع وهم أكثر عددا وليس هذا على مستوى الشعب ، ولكن على مستوى القيادات والوزارات أيضا .

واستقالة وزير الخارجية دافيد ليفى المغربى الأصل أكبر دليل على ذلك ، فهذا الوزير له قاعدة شعبية كبيرة من المغاربة ، ولكنه قد لاحظ أن حزب شامير ممزق ، وأن جانبا كبيرا من الحزب يقف ضده لأنه يهودى شرقى . . وأن هناك كتلا يهودية غربية فى داخل الحزب تعمل ضده ، ثم إنه مختلف مع شامير ، فشامير رجل متشدد جدا ، وهذا التشدد مع العرب ومع أمريكا سيؤدى إلى خسارة فادحة ، ثم إن ليفى ضد موقف الحزب من مهادنة ألمانيا . . ومعروف ما الذى فعلته ألمانياباليهود . . ولكن شامير يرى أن السياسة تقتضى المرونة ، فهم محتاجون إلى أموال ألمانيا . . ثم أصحاب رؤوس الأموال اليهود قد عادوا إلى ألمانيا يمسكون الاقتصاد والإعلام . . والألمان المعاصرون ليسوا مسئولين عما حدث فى عهد آبائهم وأجدادهم . . ثم إن ألمانيا أصبحت أقوى دولة فى أوروبا . .

وقد احتج ليفى على أسلوب المستشار كول فى الحديث عن اليهود . . وكان رد كول الذى هو أقوى رجل فى تاريخ ألمانيا : ليس من حق أحد أن ينصحنى بالطريقة التى يراها للحديث عن يهود اليوم أو الأمس!

طبعا مثل هذه المواقف السياسية طبيعية جدا مع الحملات الانتخابية فى إسرائيل . . وهى فرصة أن يناور ليفى ويداور ويساوم على مكتسبات له ولحزبه ولليهود الشرقيين . . وإلا انضم

للمعارضة ، فإذا حدث ذلك ، فلن يجيء حزب شامير إلى الحكم . . لأن دافيد ليفى على رأس قوة إنتاجية كبيرة من المغاربة واليهود والشرقيين الذين حملوا بيجين على أكتافهم إلى الحكم بعد أن خدعهم حزب العمل!

هل يكون العرب واقعيين فى معالجتهم للوضع المتدهور دائما فى إسرائيل؟ . . هل هناك خطة عربية لتضييق الخناق على إسرائيل؟ إن أحدا لا يطلب إلى العرب أن ينكسوا رؤوسهم ولا أن يبوسوا القدم ويبدوا الندم على غلطتهم فى حق بيجين وشامير وشارون ، أبدا ، وإنما يجب أن يتمسكوا بالمفاوضات حتى يفقد اليهود أعصابهم . . وهم عصبيون بتكوينهم . . بشرط ألا يرتكب العرب عملا إرهابيا دمويا . . سنة . . سنتين . . ثلاثة . . فلا وجه للاستعجال !

قليلا من الصبر أيها العرب . . فالحق معكم والأرض لكم . . والدنيا كلها وراءكم !

عجائب العالم!

ليس خيالا وإنما هو الواقع الجديد فى أوروبا الذى يكاد يكون خيالا كأن تكون فى مكتبك وتطلب رقم تليفون البيت فيظهر على الشاشة أمامك أن الأطفال خرجوا ونسوا الباب مفتوحا فتطلب رقما يحرك أجهزة فى البيت تنزل الستائر وتقفل النوافذ والباب الخارجى ومن الممكن أن يكون هناك اتفاق مع أحد المهندسين ليصلح الغسالة ويقف المهندس أمام الباب المغلق فتكلمه أنت من مكتبك وتفتح له الباب ، ويدخل المطبخ وأنت ترى ذلك على شاشة التليفون ثم إن جهاز الفيديو الموجود فى البيت يسجل دخول المهندس وإصلاحه للغسالة وتظل ترقب المهندس وهو يعمل .

إذا أردت فإذا انتهى من عمله طلبك المهندس ويدور بينكما حوار عن الذى تم أو الذى لم يتم ثم إنك تفتح له الباب الخارجى وأنت فى مكتبك وتغلقه بعد أن يكون المهندس قد خرج وهذا موجود فى بعض البيوت فى بريطانيا .

ومن الممكن أيضا أن تتأكد بنفسك إن كانت الغسالة قد أصلحت تماما وذلك بأن تطلب تليفون البيت ثم تطلب تليفونا

داخليا يقوم بإدارة الغسالة يؤكد لك أنه قد تم إصلاحها وكل ذلك مسجل على شريط يمكنك رؤيته عندما تعود إلى البيت .

وفى نفس الوقت فإن زوجتك هى الأخرى تطلب المطبخ - تليفونيا وتدير الأفران هذا لمدة ثلاث دقائق وهذا لمدة دقيقتين وهذا لتسخين الطعام فقط ، ثم تنطفىء الأفران كلها بعد الوقت المحدد إلكترونيا ومن الممكن أن يطلبها المطبخ فى مكتبها ويسمع الصوت المسجل يقول لها نحن فى المطبخ كل شىء قد تم على النحو الذى أردت تماما ويمكنك إذا عدت بعد ساعتين أن تجدى الطعام كله ساخنا . . درجة حرارة المطبخ عادية ، درجة التهوية عادية!

ومن الممكن أن تطلب أنت المطبخ لتعرف نوع الطعام فيقول لك : نصف كيلو لحم مشوى ، ربع كيلو سلطة خضراء ، أربع حبات من التفاح ، وأربع حبات من البرتقال ونصف كيلو من المكرونة!

بقى أمر مهم جدا وهو الاتفاق بين الشركات الإلكترونية فى أوروبا على شكل قطع الغيار ونوعها حتى يمكن بيعها وشراؤها فى كل الدول الأوروبية أى أن تكون كل قطع الغيار متحدة الشكل والوزن والنوعية ولكن جميع النظريات الإلكترونية التطبيقية موجودة عند كل الدول الأوروبية .

فكل شىء يدار فى البيت وفى المكتب وفى السيارة عن طريق المكالمات التليفونية وليس من الضرورى أن تتكلم أنت بصوتك أو تطل بصورتك ولكن هناك قواعد معروفة : أن تطلب رقم كذا فى البيت فتسأل عن الأفران فتخرج صور وأصوات مسجلة على فيديو هذه التسجيلات يمكن استدعاؤها وأنت فى المكتب أو فى طريقك

إلى البيت لتعرف كل ماحدث وتعرف إن كانت زوجتك هى الأخرى قد تأكدت بنفسها من كل ذلك أو أنها نسيت .

أما إذا حاول اللصوص دخول بيتك من الباب أو من الشباك فإن التليفون سوف يطاردك فى مكتبك أوفى سيارتك أو يطلب البوليس وتكون رسالة الاستغاثة هكذا بيت فلان رقم كذا اللصوص يحطمون الأبواب والنوافذ .

لقد حصل كل ذلك وفى عشرات البيوت إنها تجارب سوف تكون غدا فى ملايين البيوت !



من أعراض الشيخوخة : ضعف الذاكرة . . أو فقدان الذاكرة . . وكل واحد ينسى بصورة ما . . فبعض الناس ينسون الأسماء . . وبعض الناس ينسون أسماء المدن فقط . . أو أسماء الناس . . أو الأرقام والتواريخ . .

وقد يصاب الإنسان بضعف الذاكرة فى منتصف العمر . . ومعنى ذلك أن هذه أعراض شيخوخة مبكرة . .

ويقال فى تفسير ذلك إن مراكز فى المخ قد ضعفت . . أو تصلبت أولم يعد يصلها الغذاء . . ولذلك فالناس يتذكرون الأحداث القديمة جدا . . ولا يتذكرون ما حدث لهم بالأمس أو فى نفس اليوم .

وقد ابتكرت شركة جلاكسو العالمية البريطانية عقارا جديدا اسمه «اوندانسرتون» وهذا العقار لايزال فى مراحله التجريبية . . ولذلك فقد أقامت هذه الشركة مراكز للفحص بإعطاء الناس هذا العقار ومراقبتهم تماما قبل أن تنتجه بصورة تجارية وتطرحه فى الأسواق . .

وكل المصابين تتراوح أعمارهم ما بين الأربعين حتى الثمانين ، رجالا ونساء . .

ومما لاحظه الأطباء الذين يشرف عليهم الأستاذ أدريان وليمز ، أن نسبة الإصابة بضعف الذاكرة فى المدن أكثر من الريف . . وبين المثقفين أكثر من أنصاف المتعلمين . . وكلما كان الإنسان مثقفا جدا كانت إصابته بضعف الذاكرة أو فقدانها تماما أسرع . . وبين الرجال أكثر من النساء . . وبين المتزوجين أكثر من الذين لم يتزوجوا . . والمدخنون أعلى نسبة ، وأصحاب الأوزان الأكبر . . وبين الذين يعرفون لغة واحدة أكثر من متعددى اللغات . . وبين البيض أكثر من السود .

وقد لاحظ الأطباء أن الذين استعادوا ذاكراتهم بسرعة كانوا من الرجال وخاصة بين الأربعين والخمسين . . وبين أبناء الريف . . وكذلك الذين هم أكثر مرحا وخفة دم وأقدرهم على النزهة وأكثرهم حبا للرياضة وأكثرهم سفرا خارج البلاد .

أما الذين يعيشون فى الجبال فإن ذاكراتهم تضعف فى سن متأخرة جدا . . ثم إنهم أسرع من الجميع فى استرداد هذه الذاكرة . . ثم استعادتها تماما فى وقت قصير .

والآن يقوم الأطباء بالنظر إلى نوع الأطعمة التى يتناولها فاقدوا الذاكرة . . وكذلك نوع البيئة الملوثة جزئيا أو الملوثة تماما .

وقد قدم د . رامانيل كلوسزمان بحثا أجراه عن القبائل البدائية فى شمال كندا ـ من الإسكيمو . . ولاحظ أن من النادر أن ينسى الواحد منهم شيئا ، بل إنه التقى بواحد طاعن فى السن ـ فى

التسـعين ، ولاحظ أنه يذكر أسمـاء كل الناس الذين صـادفهم فى حياته . . وأعمـارهم وحـالتهم الاجتمـاعية ، ولما سئل إن كان قد نسى شيئا يوما ما ، فقال : لا أفهم معنى أن ينسى الإنسان .

فقال له الباحث : مثلا أن تنسى ماذا حدث لك من ثمانين أو سبعين عاما .

فكان رده : مـا حـدث يمكن اسـتـرجـاعـه وبسـهـولة . . لا أنسى مطلقا .

وكذلك كانت زوجته وأولاده .

واندهش البـاحث من أن هذا الرجل يستطيع أن يفرق بين ألوان وأشكـال الكتل الجليـدية ويتـذكـر المواقع بروائحـهـا . . تمامـا مـثل الثعالب والذئاب .

وقـال للطبـيب : إنك طبـيب . . فى المرة الأولى من سنةونصف كنت ترتدى جاكت أسود فى أبيض . . وكـان كـم الجاكت قد سقط منه زرار . . ثم إن لحـيتك قـد ازدادت بياضا ، والسيـدة التى كـانت معك زوجتك وليـست سكرتيرتك كـمـا قلت . . لأن فـيكما شبـهـا شديدا كالذى بينى وبين زوجتى بعد سبعين عاما من الزواج !

وكان ذلك صحيحا !

ولا يزال البحث مستمرا .

جلوسك ؟!

إذا كنت جالسا الآن إلى المكتب تقرأ فأرجو ألا تتحرك دقيقة واحدة لكى تنظر إلى جسمك وكيف استقر على المقعد . . سوف تجده معوجا كله من أوله لآخره . . فأنت أسندت إلى الجانب الأيسر من الجسم . . ثم إنك تضغط بكل جسمك على المرفق لذراعك اليسرى . . وانظر إلى كتفك وكيف ارتفعت قليلا .

وانظر إلى ساقك اليسرى فسوف تجدها هى الأخرى قد تحملت عبء الجسم كله .

هذا الوضع خطأ . . وهذا الوضع اليومى هو الذى يتسبب فى أوجاع الساقين والذراع اليسرى والكتف اليسرى . . وهذا الوضع هو الذى يجعلك تمشى وقد رفعت كتفك اليسرى إلى أعلى وضممت إليها ذراعك اليسرى أيضا . . وأنت فى ذلك تشبه المرأة فى مشيتها فهى قد اعتادت أن تعلق الشنطة فى ذراعها اليسرى . . ولذلك تجد كتفها اليسرى أعلى من اليمنى . . اعتادت على ذلك ، وحتى لو لم تكن معها شنطة فإن كتفها سوف تجدها أعلى وذراعها اليسرى تجدها ملتصقة بجسمها . . بينما الذراع اليمنى والكتف اليمن حرتان فى حركيتهما بعيدا أو قريبا من جسمها !

ولذلك كان لابد من إعادة النظر فى المكتب الذى تستند إليه والمقعد الذى تجلس عليه . . حتى لا يوجعك عمودك الفقرى ولا فقرات عنقك!

وقد قررت إحدى المؤسسات الطبية أن تلاحظ بدقة كل حركات الموظفين فى مختلف المؤسسات . . ولذلك وضعت إنسانا آليا فى عدد من المؤسسات . . مهمة هذا الإنسان الذى ارتدى بدلة ومنظارا أسود . . وتحت هذا المنظار توجد كاميرا تليفزيونية لنقل كل حركات الموظفين مع رجاء يومى من هذا الإنسان الآلى يقول : أرجو أن تكون طبيعيا . . فنحن نريد أن نساعدك فى إعداد المكتب الذى يريحك من أوجاع الظهر والعنق والساقين والكتفين . . ساعدنا . . لا تشعر بى مطلقا أرجوك!

وقد لاحظت هذه المؤسسة الطبية أن الموظف يتحرك كثيرا أكثر مما يجب والسبب فى ذلك أنه قلق . . وأنه أيضا يشعر بألم فى ظهره . . هذا الألم يضايقه . . وإن لم يكن يدرك ذلك بوضوح ، وأنه يفضل المقاعد الدوارة . . والسبب هو أنه يشعر بألم خفيف فى ظهره . . وهذه الحركة تريحه بعض الوقت . . وأنه يرفع رأسه أحيانا إلى فوق . . وأحيانا ينظر إلى السقف على الرغم من أنه لا شىء يوجد هناك . . ولكن السبب الحقيقى هو أنه يريد أن يريح فقرات العنق . . وهو يفضل أن يكون مكتبه بعيدا عن الجدران . . وهذا لو كان فى منتصف الغرفة لكى يستدير بمقعده يمينا وشمالا بسهولة . . وكل ذلك حركات تعويضية لإراحة الظهر والعنق والساقين .

وأوصت شركة الأدوية بأن يذهب الموظفون إلى الكافتريا من

حين لآخر . . بشرط أن تكون الكافتريا بعيدة . . والغرض من ذلك هو أن يتحرك الموظف . . يحرك ساقيه وذراعيه وعنقه . . وأن يحدث ذلك مرة كل ساعتين .

وأهم من ذلك كله أن يراجع كل موظف حذاءه . . وأن يتفادى تماما أن يرتدى حذاء قد تآكل نعله . . فراح يميل إلى أحد الجانبين . . وأن يتفادى أن يتآكل كعب الحذاء فيجعل الجسم كله يميل خطأ إلى الخلف أو إلى الأمام . . فهذا التآكل الصغير يؤدى إلى اختلال فى توازن الجسم . . وهذا أقسى ما يصيب الإنسان الموظف . . إنها توازنات على المقعد والمكتب والجزمة .

وقد اكتشفت هذه المؤسسة الطبية أن معظم أوجاع المصران العصبى تجىء من هذه الجلسة الخاطئة ـ شكرا للإنسان الآلى !

لا مفاعلات !

علماء الدنيا يبحثون فى مصير هذه الدنيا ـ كوكب الأرض ، فهذا الكوكب هو دنيانا ولا نريد أن نجعله آخرتنا !

من أجل ذلك سوف تلتقى وفود العالم كلها فى مدينة ريو دى جانيرو عاصمة الأرجنتين ، موضوع البحث هو : التلوث فى الهواء والماء الذى أصاب الحياة على هذا الكوكب . . فالغابات التى يحرقونها فى أمريكا اللاتينية وفى أفريقيا ترفع سحبا كثيفة من الهواء السام لتدور حول الأرض . . وقطع الغابات يضاعف مساحة الأرض الجرداء . . ويحرم الإنسانية من مصانع الأوكسجين ـ وهى الأشجار ـ ثم إن هذه الغابات التى كانت مصدرا للسحب والأمطار ومياه الأنهار . . يؤدى اختفاؤها إلى جفاف التربة وموت الزرع والحيوانات وانقراض الطيور النادرة والحيوانات .

ثم إن الصحارى تزحف الآن على الأرض المزروعة فى أفريقيا وآسيا وأمريكا . . وكذلك الخلل الذى أصاب جو الأرض . . واتساع ثقب الأوزون فوق القطب الجنوبى بسبب انبعاث غاز (ك .ف .ك) الذى يخرج من المصانع ويتصاعد حتى يخترق طبقة

الأوزون التى تلف حول الأرض تحميها من أشعة الموت القادمة من الفضاء الخارجى . . وفى نفس الوقت تمنع دخولها إلى جو الأرض .

ولما دخلت أشعة الموت (الأشعة فوق البنفسجية) أصابت الإنسان والحيوان فى أستراليا والمياه القطبية بسرطان الجلد .

هذا ما سوف يبحثه علماء العالم كله فى يونيو القادم .

ولكن هناك خطرا حقيقيا يجب أن يبحثوه الآن قبل المؤتمر ، فالأمر عاجل جدا وإلا هلكت الكرة الأرضية كلها ولمئات السنين . . وسوف يؤدى الإهمال أو التلكؤ إلى موت أوروبا الشرقية وآسيا كلها .

نحن لا نزال نذكر ما حدث فى المفاعل النووى فى تشيرنوبل . . المفاعل قديم ، والإشعاعات النووية تسربت فقتلت وشوهت وسوف تشوه مئات الألوف ولعشرات السنين ، ولذلك وجدنا أناسا وحيوانات ونباتات مشوهة التكوين بسبب الإشعاعات النووية التى أدت إلى ارتباك فى تكوين الخلايا الحية .

أمامنا الآن ستون مفاعلا نوويا فى روسيا وبعض دول أوروبا الشرقية وهى جميعا من جيل نووى واحد ، وهى جميعا تنقصها كل ضمانات الأمن ، ومن الممكن أن تنهار هذه المفاعلات فى أية لحظة ، خاصة وأن معظم خبرائها ومهندسيها فى حالة سخط شديد وأضربوا أكثر من مرة ، والسبب هو مرتباتهم الضئيلة وعجزهم عن الحياة . . ثم إن هذه المفاعلات الروسية الطراز قديمة . . وخطرها الآن أكثر من فائدتها . . وخطرها ليس على

بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ، وروسيا ، ورومانيا ، ولتوانيا ولاتفيا ، وإنما على هذه الدول وكل الدول المجاورة لها .

وقد اعترف عدد كبير من الخبراء الروس بأن هذه المفاعلات كان من المقرر لها أن تتوقف عن الإنتاج منذ ست سنوات .

ولذلك فلا حل لسلامة هذه الدول والعالم كله إلا بإغلاق هذه المفاعلات الآن وفورا ، لأن المهندسين الروس يؤكدون أن انهيار هذه المفاعلات وشيك . . وإذا لم تسارع دول الغرب بإغلاقها وإلغائها تماما فلن ينعقد المؤتمر العالمى فى الشهر القادم ـ لأن النشاط النووى سوف يقضى على العالم كله !

لا يزهقون !

الإنجليز لا يزهقون من الكتابة عن شاعرهم العظيم وليم شكسبير . . فلا يمضى عام دون أن يظهر كتب عن حياته أو شاعريته أو عبقريته ، وفى كل مرة يصدر كتاب يتساءل الإنسان : هل لا يزال شىء لم يقله الإنجليز عن فنانهم العظيم ؟

والكتب عن شيكسبير تنقل أنه أعظم من خلق الله إلى القول بأنه أعظم ما اخترع الإنسان من خرافات . . فالرجل لم يوجد قط . . وإذا وجد فليس هو الذى ألف هذه المسرحيات الشعرية العظمية . . وإنما رجلان آخران معاصران له هما : بيكون ومارلو وهو شاعر أعمى . .

حتى العرب حاولوا أن يكون لهم نصيب من هذه الخرافات ، فقالوا إن شيكسبير هذا ليس إلا واحدا اسمه الشيخ زبير !!

وقالوا بل إن شكسبير اسم مكون من كلمتين هما : شيك . . أى يهز . . وسبير معناه الرمح . . أى أن الشاعر اسمه : هز الرمح!!

وحياة شيكسبير فيها غموض . . سنواته الأولى لا نعرفها بدقة ، ولم نقرأ عن اسمه وأنه موجود فعلا فى سجل إحدى الكنائس بأنه تزوج . . وفى شهادة أبنائه . . الأولى بنت والاثنان

الآخران توأم . . ولد مات فى الحادية عشرة من عمره . . والبنت هى التى عاشت حتى بعد موت والدها . . والوالد مات فى يوم مولده بالضبط وهو ٢٣ أبريل سنة ١٦١٦ . . وفى نفس اليوم والسن مات الروائى الأسبانى العظيم سرفانتس . .

أما أعمال شكسبير المسرحية فقد نقلت إلى كل لغات الأرض ، وقد نقلت إلى المسرح العربى شعرا ونثرا . . وقد حاول طه حسين إعادة ترجمة كل المسرحيات ، وكان من نصيبى ترجمة مسرحية «روميو وجولييت» ـ ولكن هذا المشروع لم يتم !

ولا أحد لم يسمع أو لم يقرأ أو لم يشاهد : روميو وجولييت وأنطونيو وكليوباترا وعطيل وهاملت وغيرها!

أما الجديد فى ملحمة شيكسبير فهو صدور كتاب لأمريكية خبيرة فى الكمبيوتر ، فقد اكتشفت أن صورة شيكسبير التى نعرفها الان ، ليست صورته . . أبدا . . وإنما فى صورة الملكة إليزابيث التى ظهرت سنة ١٩٨٦ ، وقد ظهرت هذه الصورة على أعماله الكاملة ، وكل ما حدث هو أن أضيف لها شارب ولحية صغيرة وصلعه والصورتان متطابقتان تماما . . انظر إلى الشفتين إلى الأنف إلى المسافة بين العينين . . وإلى النظرة . . إنها الملكة!

جاء ذلك فى كتاب الأمريكية ليليان شعارتس فى كتابها : هل كان شيكسبير امرأة ؟

وتقول السيدة ليليان أيضا إنها اكتشفت باستخدام الكمبيوتر أن الرسام الإيطالى العظيم دافنشى «١٥٤٢ ـ ١٥١٩» عندما رسم اللوحة الشهيرة «موناليزا» ذات الابتسامة الخالدة المحيرة . . لم يرسم

إلا نفسه . . فهى صورته هو . . مع تعديلات طفيفة فى الوجنتين وتخفيف الحاجبين . . فهو لم يصور امرأة جميلة . . ولا امرأة سعيدة لأنها حامل . . آخر ماكتبه المؤرخون عن السيدة التى أتى لها بفرقة موسيقية لكى تضحك وهو يرسمها . . أبدا . . إنها نفس صورته . . فلم يكن ليوناردو دافنشى رجلا خشنا ، بل كان رجلا ناعما «بنوته» شاذا . . فالنعومة الموجودة فى صورة «موناليزا» هى نفس النعومة الموجودة فيه هو . . وطبيعى أن يكون التعليق على هذه الاكتشافات الجديدة : كلاما فارغا!

وهذا لا يحسم القضية وإنما يضيف إليها تساؤلات كثيرة . . ولن تنتهى ملحمة شيكسبير . . فلا حدود للعظمة الفنية للرجلين !

الشعوب تنسى !

يجب ألا نثق كثيرا فى ذاكرة الشعوب - إنها تنسى كثيرا وبسرعة .

قال أمير الشعراء شوقى عن مصر : كل شىء ينسى فيها بعد حين!

وكذلك شعوب العالم ، انظر إلى شعب الفلبين الذى طرد رئيسه وزوجته منذ ست سنوات حتى مات الرئيس ماركوس فى جزر هاواى سنة ١٩٨٩ ، واتهمه الشعب بسرقة الأموال ونهبها مئات الملايين ويقال ألوف ، وعرض تليفزيون العالم صورا لأحذية وفساتين السيدة حرم رئيس الفلبين : أميلدا ماركوس . . فكانت أكبر مجموعة من الأحذية امتلكتها سيدة فى التاريخ ، وقالوا : مرتشية . . وقالوا : والرجل أيضا .

وأنهما معا قد سرقا ونهبا وقاما بتهريب مجوهرات ثمنها ألوف الملايين . . كلها مأخوذة من خزائن الشعب . . وآه لو وقع الرئيس ماركوس وزوجته لقطعوهما ألف ألف قطعة وألقوا بهما للكلاب الجائعة !

ولما مات الرجل بدأ الكلام عن دفنه فى أرض بلاده التى أحبها

وأخلص لهـا . . وبدأت الوفـود تروح وتجىء . . وحكومـة الفلبين ترفض ذكـر اسم الرجل أو رؤية صـورة لزوجتـه . . وقـالوا : أرض الفلبين أطهر وأشرف !

وفـجـأة وافق الرأى العـام على عـودة أرملة الرئيس السـابق ـ ومحاكمتها ، وقالوا : لا داعى للمحاكمة . . فهى لم تفعل شيئا وإنما زوجها الذى مات هو صاحب القرار . . وقالوا : دفعت مئات الملايين .

وقالوا وسوف تدفع مئات الملايين لكى تعيش فى الفلبين .

وذهبت إلى الفلبين تسبقـها الفلوس . . فلوس أنصـار زوجـهـا وأنصارها . . وفجأة قررت أن ترشح نفسها لانتخابات الرياسة فى الشهر القادم ، كيف راحت الجماهير تهتف باسمها وتنعى أيامها الذهبية . . أيام أقامت المستشفيات والمدارس والمتاحف . . أيام الكرم وكرامة الإنسان !!

وقالوا : إنها ليست بشرا وإنما هى جهاز لتحقيق أحلام البشر . . فلماذا لا تستأنف أعمالها الجليلة !

وسارت وراءها الحشود تهتف باسمها وباسم زوجها المرحوم . . وتبكى على تلك الأيام من تاريخ الفلبين . . وتعـدهم السـيـدة ماركـوس : بأن كل شىء سـوف يعود إلى ما كـان عليه وأحسن وأجمل وأغنى وأكثر فلوسا ؟!

وفـجـأة تقرر نقل جثمـان زوجـها إلى الفلبين . . وفـجـأة تطوع الناس لرصف الطريق إلى المقبرة . . وفجأة تبرع الأغنياء ببنائها

وبناء قصر تذكارى وتمثال ضخم لهذا الرجل الذى كان لصا بالأمس ، وسفاحا دمويا ، وناشرا للرشوة والفساد !

فجأة راحوا يطالبون بعملة تذكارية للرئيس السابق ماركوس . . يكون هو على وجه وتكون هى على الوجه الآخر . . وأن تطبع عملات جديدة عليها صورته وصورتها . . وصورة للمدفن التذكارى .

وفجأة طلبوا أن تعود كل الشوارع التى كانت تحمل اسمه إلى ما كانت عليه . . وأن يطلق اسمه على الميادين أيضا . . وأن يطلق اسمه على إحدى الجزر وأن يقام له تمثال عال رفيع المستوى تراه السفن والطائرات .

إن الشعوب تنسى وبصورة مهينة لكرامة الإنسان ، كأنه لا قتل ولا ذبح ولا سرق ولا نهب . . ولا مات !

هبطوا وعادوا!

من ثلاثين سنة أصدرت كتابين عنوانهما : «الذين هبطوا من السماء» . . و«الذين عادوا إلى السماء» . . وكان صدى هذين الكتابين أقوى مما تصورت ، ولكن الذى ضايقنى هو أن الناس تصوروا أن هذين الكتابين يدخلان فى باب « الخيال العلمى» أى أننى أتخيل شيئا من الممكن أن يحدث . . ولكنه لم يحدث مطلقا ـ وهو بالضبط عكس ما أدعو إليه . . أى أن كل الذى كتبت ونشرت كان معناه : إن هذا الذى أتخيله من الممكن أن يحدث فى المستقبل .

أما الذى كتبت فقائم على عدد من الأسس المنطقية والواقعية أيضا .

أولا : إن الأرض ليست هى الكوكب الوحيد الذى تعيش عليه الحياة : النبات والحيوان والكائنات العاقلة التى هى الإنسان . . وأنه ليس بعيدا عن العقل أن تكون هناك ما لا نهاية له من الكواكب مثل الأرض عليها أنواع مختلفة من الحياة العاقلة .

ثانيا : إن بعض هذه الكائنات العاقلة قد هبطت على سطح الأرض من وقت طويل ، وأنها تركت آثارا على الأرض تدلنا على

أنها جاءت لسبب لا نعرفه ، ولسبب لا نعرفه أيضا قد ذهبت ، وقد نشرت عشرات الأدلة العلمية المصورة الملموسة دليلا على ذلك .

ثالثا : إن العلماء قد حاولوا بأشكال مختلفة أن يتصلوا بهذه الكائنات وذلك بإطلاق رسائل فضائية لعلها أن تلفت انتباههم . . فأرسلت أمريكا سفينة فضاء . . وعلى السفينة خريطة بموقع الأرض من المجموعة الشمسية «أى الكواكب التى تدورفى فلك نجم اسمه الشمس» .

وهذا النجم ليس إلا واحدا من ألوف ملايين النجوم فى مجموعة واحدة اسمها المجرة . . وفى الكون ألوف الملايين من المجرات . . وعلى هذه السفينة أيضا تسجيلات صوتية بأربعين لغة من ضمنها اللغة العربية . . وصور للإنسان «ذكر وأنثى» . . ومعنى هذه الرسالة التى انطلقت إلى الفضاء الخارجى : أننا هنا . . ونريد أن تعرفوا ذلك وأن تتصلوا بنا . ربما ساعدتمونا على اختصار الوقت فى حل المشاكل الإنسانية والفلكية التى فرغتم أنتم منها . .

رابعا : إن الكتب القديمة قد أشارت إلى أحداث تدل على كائنات من أماكن أخرى قد هبطت على الأرض . . وإن الكتب القديمة قد سجلت وصول هذه الكائنات وعودتهم . . ففى «سفر حزقيال» نقرأ عن سفينة فضاء وصلت إلى الأرض . . شكلها ولونها وصوتها والنيران التى تخرج منها . . كيف جاءت وكيف ذهبت .

وكذلك ملحمة «قلقامش» البابلية تروى كيف كان شكل الأرض ونهر دجلة والفرات من فوق . . كيف تصغر الأشياء كلما ابتعد الإنسان عن الأرض . .

وكذلك سفر النبى «اخنوخ» الذى أخذوه فى سفينة فضاء وابتعدت عن الأرض ثم أعادوه . . وكذلك حكايات الكائنات الغريبة الموجودة فى الأساطير الإغريقية وفى ألف ليلة وليلة . . وكيف كانت قادرة على أن تتشكل وكيف كانت قادرة على أن تطير وأن تغوص . . وكلها حيوانات جاءت من كواكب أخرى . . وكيف عثروا على معادن لها أشكال عجيبة . . هذه الأشكال لا يمكن أن تكون طبيعية إلا فى درجات حرارة بمئات الألوف . . وهذا لا يتسنى إلا فى أفران خاصة - أقامتها هذه الكائنات التى جاءت وذهبت . . وكل الذى كتبت فى ذلك الوقت وقرأه الملايين على أنه أقرب إلى الخيال العلمى ، هو الآن حقيقة علمية . . فقد حدث ذلك بالضبط .

ثم إن الأطباق التى هبطت إلى سماء الأرض - فى مصر الفرعونية وفى العراق وفى فرنسا . . لاتزال الأطباق تطير وتحط على الأرض وتسجل المراصد العلمية اهتزازها الفائق التردد . . ولم نستطع حتى الآن أن نلقى القبض على واحد منها . . ولكنها موجودة . . وقد ظهرت فى روسيا فى أوائل القرن . . كما ظهرت سفن فضاء أحرقت الغابات الروسية فأضاءت أوروبا عشرات الأيام . . وغيرها وغيرها . . كلها حقائق علمية ، وليست خرافات . . وهى تدل على أن كائنات أخرى تريد أن تعرفنا وأن نعرفها !

الشيخوخة لماذا؟

الحياة والموت والصحة والمرض ، والغنى والفقر ـ كل ذلك بيد الله .

والعالم يريد أن يعرف لماذا الصحة ولماذا المرض؟ ولماذا الشيخوخة . . أى الموت التدريجى .

وقديما قال المفكر الأمريكى فرانكلين روزفلت إن هناك حقيقتين فى هذه الدنيا : الموت والضرائب . . ولكن الضرائب يمكن دفعها على مراحل أو يمكن تأجيلها أو الهرب منها . . الموت أيضا يجىء على درجات . . ويمكن تأجيله بعض الوقت ولكنه آت لا ريب فيه .

ولكن لماذا الموت؟

أعلن العالم النفسى فرويد أن هناك غريزة للبقاء وأن هناك غريزة للفناء ، أى أن الإنسان حريص على بقائه وفى نفس الوقت ودون أن يدرى حريص على موته أيضا ، وكثير من تصرفات الإنسان تدل على أنه يريد الموت ، أى أن سلوكه انتحارى فهو يأكل كثيرا ويشرب كثيرا وينام قليلا ويعمل كثيرا ويهمل فى تعاطى الدواء ويعرض نفسه للإصابة بالمرض ويحرص على أن يظل كذلك كأنه لا يريد أن يعيش فليس صحيحا إذن أنه يريد الحياة ويدافع عنها وعن استمرارها . .

ولكن علماء الكيمياء يريدون أن يروا شيئا ملموسا يدل على هذا المعنى ، أى على الشىء أو الخلية التى هى خلية الموت أو الخلية التى تدفع الجسم إلى الشيخوخة .

وقد كشف علماء الكيمياء فى أمريكا واليابان أن هناك جينات أى مكونات أى خلايا موجودة فى الجسم الإنسانى ، هذه الخلايا تظل نائمة وتبدأ فى الظهور والتكاثر الشديد بعد الأربعين ، هذه هى «خلايا الشيخوخة» فإذا ظهرت هذه الخلايا ظهر الإرهاق وتضعف المقاومة والإصابة بسرعة بأى مرض ، فهذه الخلايا تقوم بشل المقاومة فى الجسم الإنسانى .

وفى الوقت الذى تمنع مظاهر الحيوية فى الإنسان فإنها تفتح شهيته للطعام فلا شىء يقتل الإنسان ويقصف عمره قدر الطعام الكثير الذى يتناوله ، فهو يرهق القلب ويحطم العظام ولا توجد أية وسيلة لوقف تكاثر خلايا الشيخوخة . . صحيح أن الإنسان منذ ألوف السنين وهو يحاول أن يتعاطى الأعشاب التى تعيد الشباب ويتعاطى السوائل التى تشعل الحيوية ولكن ذلك مؤقت جدا .

ولا أحد يعرف بالضبط متى تصحو هذه الخلايا العجيبة ، فقد تظهر مبكرا وقد تظهر فى مرحلة متأخرة ولكنها لا بد أن تظهر ، ففى بعض الناس تظهر الشيخوخة بالتدريج وفيما بعد الخمسين ، وبعض الناس تظهر عليهم أعراض الشيخوخة فى الثلاثين ، وبعض الناس يولدون شيوخا يعتمدون على غيرهم ويتأكلون ويموتون . فخلايا الشيخوخة موجودة وهى أقرب إلى الخلايا السرطانية تكمن ثم تظهر بكثرة .

ويساعد على ظهور هذه الخلايا أننا نعيش فى أجواء مسمومة كيماويا ، فالماء مسموم والطعام والهواء ملوث والأعصاب ملتهبة حتى الهواء العادى الذى نشمه خاليا من الأكسجين يكفى جدا لتنشيط هذه الخلايا المولودة معنا .

إذن فالموت والحياة يعيشان معا فى كل جسم إنسانى والحياة أطول عمرا من الشيخوخة لأن الشيخوخة رغم وجود خلاياها نائمة ، فإنها تنهض متأخرة وبسرعة تعوض ما فاتها وبظهور الشيخوخة التى هى أعراض الموت تدخل فى مرحلة الموت الذى هو مرض يغطى على كل مرض آخر .

والشيخوخة بين هذه الخلايا والأعمار بيد الله ـ آمنت بالله !

. الفهرس .

رقم الصفحة

كلمة أولى ٣
السادات- رابين- غاندى ٦
الله أعلم ٩
معنى الملابس ١٢
يايومى وغدى ١٤
قتلوا السلام ١٧
زحام جديد ٢٣
كامل الشناوى ٢٧
الرجل الطفل ٣٦
ما المثل الأعلى؟ ٣٩
خلايا مبرمجة ٤٢
اذا جاء طفل ٤٥
شجاعة نادرة ٤٨
واحد لا يخجل ٥١
عش الغراب ٥٤
لها شارب ٥٧
السبب ذبابه ٦٠
هو نيكر : مجرماً ٦٣
لولا الهجرة ٦٩
مارلين مونرو دائماً ٧٢
بوكاسا : مفترساً ٧٥
مخابرات المانيا ٧٨

وداع الإمبراطور ٨١
كان زمان ٨٤
المانيا الاقوى ٨٧
انتخابات امريكا ٩٠
هذه اللحوم ٩٦
مهرجان الجنادرية ٩٩
اعصابك ١٠٢
الحضارة نفسها ١٠٥
مايكل جاكسون ١٠٨
كامل الأوصاف ١١٠
صار مليونيراً ١١٣
وحشية ستالين ١١٦
حرب الخليج ١١٩
بطرس غالى ١٢٢
البولشوى ١٢٥
كلينتون رئيسا ١٢٨
فقر النجوم ١٤٠
تشرشل ١٤٣
واحد احب ١٤٦
رجلان ١٥١
موسى صبرى ١٥٣
النحل القاتل ١٥٦
توت عنخ أمون ١٥٩
١٩٩١ .... ١٦٢
الانسان كما هو ١٦٤
ماذا حدث ١٦٧

الاضطهاد الطويل ١٧٠
انها الهرمونات ! ١٧٣
انه الخوف ١٧٦
عجائب العلم ١٧٩
تشابه غريب ١٨٢
جلوسك ١٨٥
لا مفاعلات ١٨٨
لا يزهقون ١٩١
الشعوب تنسى ١٩٤
هبطوا وعادوا ١٩٧
الشيخوخة لماذا ٢٠٠

مؤلفات الكاتب الكبير

الأســتاذ

أنيـــس منصـــور

(أ) ترجمة ذاتية:

١ – فى صالون العقاد.. كانت لنا أيام.
٢ – عاشوا فِى حياتى.
٣ – إلا قليلاً.
٤ – طلع البدر علينا.
٥ – البقية في حياتى.
٦ – نحن أولاد الغجر.
٧ – من نفسي.
٨ – حتى أنت يا أنا.
٩ – أضواء وضوضاء.
١٠– كل شيء نسبى.
١١– لأول مرة.
١٢– شارع التنهدات.

(ب) دراسات سياسية:

١٣– الحائط والدموع.
١٤– وجع فى قلب إسرائيل.
١٥– الصابرا (الجيل الجديد فى إسرائيل).
١٦– عبد الناصر – المفترَى عليه والمفترِى علينا.
١٧– فى السياسة (٣ أجزاء).
١٨– الدين والديناميت.
١٩– لا حرب فى أكتوبر ولا سلام.
٢٠– السيدة الأولى.
٢١– التاريخ أنياب وأظافر.
٢٢– الخالدون مائة – أعظمهم محمد (ﷺ).
٢٣– على رقاب العباد.
٢٤– ديانات أخرى.
٢٥– وكانت الصحة هى الثمن.
٢٦– الغرباء.
٢٧– الخبز والقبلات.

(جـ) قصص:

٢٨– عزيزى فلان.
٢٩– هى وغيرها.
٣٠– بقايا كل شيء.
٣١– يا من كنت حبيبى.
٣٢– قلوب صغيرة.

(د) مسرحيات مترجمة:

•• للأديب السويسرى فريدريش ديرنمات:
٣٣– رومولوس العظيم.
٣٤– زيارة السيدة العجوز.
٣٥– زواج السيد مسيسبى.
٣٦– الشهاب.
٣٧– هى وعشاقها.
•• للأديب السويسرى ماكس فريش:
٣٨– أمير الأراضى البور.
٣٩– مشعلو النيران.
•• للأديب الفرنسى جان جيرودو.
٤٠– من أجل سواد عينيها.
•• للأديب الأمريكى آرثر ميللر:
٤١– بعد السقوط.
•• للأديب الأمريكى تنسى وليامز.
٤٢– فوق الكهف.
•• للأديب الأمريكى يوجين أونيل:
٤٣– الإمبراطور جونس.
•• للأديب الفرنسى يوجين ليونسكو.
٤٤– تعب كلها الحياة.
•• للأديب الفرنسى أداموف.
٤٥– الباب والشباك.
•• للأديب الإسبانى أرابال.
٤٦– ملح على جرح.

(هـ) دراسات نفسية:

٤٧– الحنان أقوى.
٤٨– من أول نظرة
٤٩– طريق العذاب.
٥٠– ألوان من الحب.
٥١– شباب.. شباب.
٥٢– مذكرات شاب غاضب.
٥٣– مذكرات شابة غاضبة.
٥٤– جسمك لا يكذب.
٥٥– الذين هاجروا.
٥٦– غرباء فى كل عصر
٥٧– أظافرها الطويلة.
٥٨– هموم هذا الزمان.

٥٩- زمن الهموم الكبيرة.
٦٠- الحب الذى بيننا.
٦١- عذاب كل يوم.
٦٢- كيمياء الفضيحة.
٦٣- كل معانى الحب.

(و) دراسات علمية:

٦٤- الذين هبطوا من السماء.
٦٥- الذين عادوا إلى السماء.
٦٦- القوى الخفية.
٦٧- أرواح وأشباح.
٦٨- لعنة الفراعنة.
٦٩- دقات الصحة هى الثمن.

(ز) نقد أدبى:

٧٠- يسقط الحائط الرابع.
٧١- وداعًا أيها الملل.
٧٢- كرسى على الشمال.
٧٣- ساعات بلا عقارب.
٧٤- مع الآخرين.
٧٥- شىء من الفكر.
٧٦- لو كنت أيوب.
٧٧- يعيش.. يعيش.
٧٨- الوجودية.
٧٩- طريق العذاب.
٨٠- وحدى.. مع الآخرين.
٨١- ما لا تعلمون.
٨٢- لحظات مسروقة.
٨٣- كتَاب عن كتب.
٨٤- أنتم الناس أيها الشعراء.
٨٥- أيها الموت.. لحظة من فضلك.
٨٦- أوراق على شجر.
٨٧- فى تلك السنة.
٨٨- دراسات فى الأدب الأمريكى.
٨٩- دراسات فى الأدب الألمانى.
٩٠- دراسات فى الأدب الإيطالى.
٩١- فلاسفة وجوديون.
٩٢- فلاسفة العدم.

(ح) رحلات:

٩٣- حول العالم فى ٢٠٠ يوم.
٩٤- بلاد الله خلق الله.
٩٥- غريب فى بلاد غريبة.
٩٦- اليمن ذلك المجهول.
٩٧- أنت فى اليابان وبلاد أخرى.
٩٨- أطيب تحياتى من موسكو.
٩٩- أعجب الرحلات فى التاريخ.
١٠٠- ماذا يريد الشباب؟
١٠١- الرصاص لا يقتل العصافير

(ط) مسرحيات كوميدية:

١٠٢- مدرسة الحب.
١٠٣- حلمك يا شيخ علام.
١٠٤- مين قتل مين؟
١٠٥- جمعية كل واشكر.
١٠٦- الأحياء المجاورة.
١٠٧- سلطان زمانه.
١٠٨- العبقرى.
١٠٩- كلام لك يا جارة.
١١٠- فوق الركبة.
١١١- هذه الصغيرة (وقصص أخرى).
١١٢- يوم بيوم.
١١٣- إنها الأشياء الصغيرة.
١١٤- إلا فاطمة.
١١٥- القلب أبدًا يدق.

(ى) المسلسلات التليفزيونية:

١١٦- حقنة بينج.
١١٧- اتنين.. اتنين.
١١٨- عريس فاطمة.
١١٩- من الذى لا يحب فاطمة؟
١٢٠- غاضبون وغاضبات.
١٢١- هى وغيرها.
١٢٢- هى وعشاقها.
١٢٣- العبقرى.
١٢٤- القلب أبدًا يدق.
١٢٥- يعود الماضى يعود.

(ك) كتب (مقالات):

١٢٦- ثم ضاع الطريق.
١٢٧- النجوم تولد وتموت.
١٢٨- هناك أمل.
١٢٩- أحب وأكره.
١٣٠- الحيوانات ألطف كثيرًا.
١٣١- مصباح لكل إنسان.
١٣٢- أتمنى لك.
١٣٣- لعل الموت ينسانا.
١٣٤- اقرأ أى شىء.
١٣٥- ولكنى أتأمل.
١٣٦- حتى تعرف نفسك.
١٣٧- الحب والفلوس والموت.. وأنا.

١٣٨- نحن كذلك !!
١٣٩- اللهم إنى سائح.
١٤٠- كائنات فوق.
١٤١- تعال نفكر معًا.
١٤٢- آه لو رأيت !
١٤٣- النار على الحدود لعبة كل العصور.
١٤٤- انتهى زمن الفرص الضائعة !
١٤٥- هناك فرق.
١٤٦- الرئيس قال لى.. وقلت أيضًا - الجزءان الأول والثانى.
١٤٧- يا نور النبى.
١٤٨- وأنت ما رأيك؟
١٤٩- حضارة الإوز والبقر.
١٥٠- حلمنا الجميل.
١٥١- ضاع الجيل ضاع.
١٥٢- قالوا (الجزءان الأول والثانى).
١٥٣- وآخرتها.
١٥٤- من أول السطر.
١٥٥- أظافرها الطويلة.
١٥٦- القلب لا يمتلئ بالذهب.
١٥٧- تكلم حتى أراك.
١٥٨- الذى خرج ولم يعد
١٥٩- ليلة فى بطن الحوت.
١٦٠- والله زمان يا حب.
١٦١- أجيال من بعدنا.
١٦٢- قلبك يوجعنى.

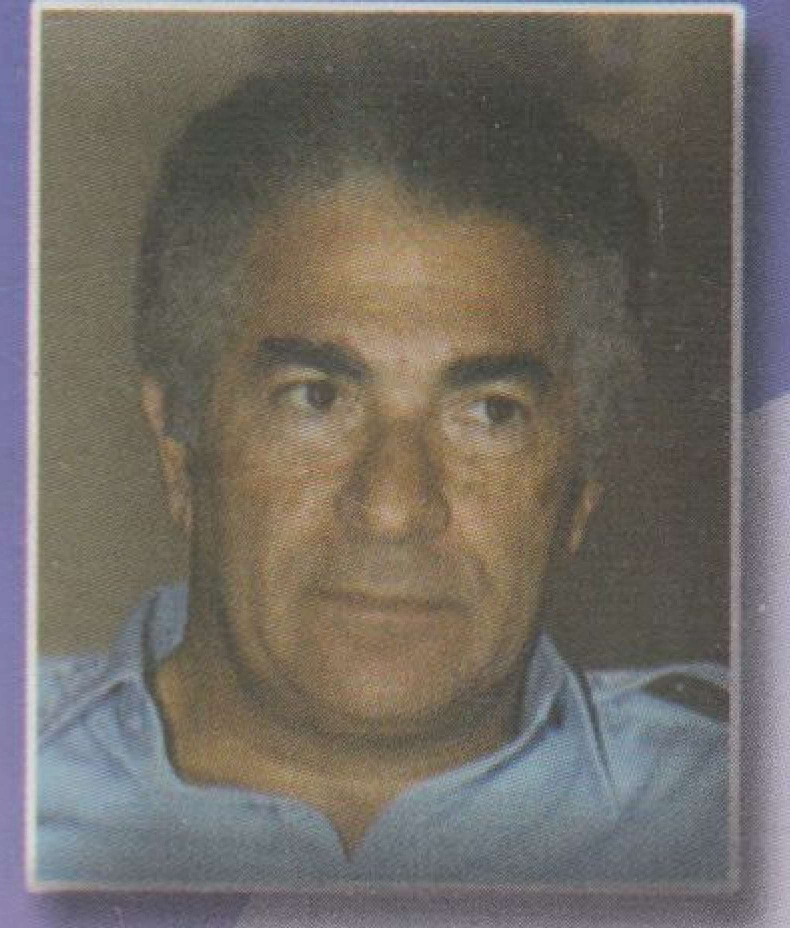
(ل) الترجمات القصصية:

١٦٣- رواية (الجائزة) للكاتب الأمريكى أرفنج والاس.
١٦٤- (المثقفون) للأديبة الوجودية سيمون دبوفوار.
١٦٥- (لو كنت مكانى) للأديب السويسرى ماكس فريش
١٦٦- (قصص مورافيا) للأديب الإيطالى ألبرتو مورافيا.
١٦٧- (الجلد) للأديب الإيطالى كورتسيو ملبارته.
١٦٨- (الجيل الصاخب) للأديب الأمريكى جينز برج.

(م) الترجمات الفلسفية:

١٦٩- الفلسفة الوجودية الألمانية - لإميل تسلر.
١٧٠- الفلسفة الوجودية الفرنسية - لجان جاك رسو.
١٧١- معنى العدم عند هيدجر وسارتر - لجانيت أردمان.
١٧٢- مسرح العبث الفرنسى - لإتيان ماريبو.
١٧٣- الفيلسوف الروسى برديائف - لفيكتور لوزتسيف.
١٧٤- من كيركجور إلى مارسيل - لأنطوان بابيف.
١٧٥- سيمون دبوفوار تلميذة رصينة - لفرنسواز روسلان.
١٧٦ - رسائلها إليه - لفرنسواز روسلان.
١٧٧- فاشلون لكن نبلاء - لجان مارى روار.
١٧٨- ما الميتافيزيقا؟ - لمارتن هيدجر.
١٧٩- الوجودية فلسفة إنسانية - لجان بول سارتر.
١٨٠- فلسفة حنا أرنت - تلميذة للفيلسوف الألمانى مارتن هيدجر - لآدم برجشتاين.
١٨١- كروتشه فيلسوف الحرية - لإيرابيلا دلورنتس.





أنيس منصور

حتى تعرف نفسك

كل إنسان قرفان من حياته !!
إما لأن حياته مرهقة له وهو يريد أن يستريح، وإما لأن هذه الحياة تافهة لا معنى لها ولا قيمة، فإذا جلس فى البيت أو على المقهى قد يجد المعنى، أو يستريح من البحث عن المعنى لحياته، أو يكون الموت المعنى الأخير لها.

وكثيرًا ما نسمع أناسًا يقولون : ياريت تنتهى خدمتى وأحال إلى المعاش لعلى أستريح، أجلس فى الشمس جنب الحيط، ويا دار ما دخلك شر. كافى خيرى شرى .. وودن من طين وودن من عجين، والحمد لله على كده.

فالذى يحال إلى المعاش سوف يعانى مشكلة خطيرة، وهى أنه قد اعتاد على حياة مليئة بالناس الذين يضايقونه أو يضايقهم. إنه رتب كل مشاعره عليهم، على حبهم أو على الفرار منهم، وفى استطاعتك أن تراقب حركاتك منذ اللحظة الأولى التى تخرج فيها من بيتك إلى عملك.

فإذا كانت ليلتك مريحة فأنت تخرج من البيت مستريحًا هادئ الخطوات واسع الصدر، ولاتكاد تتجه إلى الشارع الذى ستنتظر فيه الأتوبيس حتى يبدأ فيلم القرف اليومى.

سأفترض أنك وجدت مكانًا فى الأتوبيس وأنك وجدت الكمسارى وكان معه فكة وركبت ونزلت بسلامة الله وعبرت الشارع وإن كان هذا صعبًا بعض الشىء. وبدأت تدخل باب المؤسسة أو الشركة هنا [illegible] تراقب حركاتك.. ولو كان معاك مرآة لوجدت التكشيرة [illegible] وجهك وبشكل غريب جدًا قد التوت شفتاك وظهر [illegible] على لسانك .. أما هذا الضيق المفاجئ فى التنفس [illegible] انسحاب الأكسجين من الهواء بسرعة وإنما سببه [illegible] شعورًا غريبًا بأن كل زملائك فى العمل يزاحمو[illegible] فى التنفس وأنهم لايأخذون من الهواء نفس [illegible] نصيبك إنهم يأخذون أكثر منك قليلاً ..
فهم يسحبون الهواء من صدرك !




6 221133 302340


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع